REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة 8 ماي 1945 قالمـة
كليــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستر

تخصص: (لسانيات التطبيقية)

بلاغة الخطاب الحجاجي في كتاب مفتاح تلخيص المفتاح لابن مظفر الخلخالي (ت 745 هـ)

–دراسة وصفية تحليلية–

مقدمة من قبل:

الطّالبة: خولة بن رجم

الطّالبة: مروة معامرية

تاريخ المناقشة: ..14./..06./2022

أمام اللّجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
إبراهيم براهمي	أستاذ محاضر –أ–	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة–	رئيسا
الطّاهر عفيف	أستاذ محاضر –	جامعة 8 ماي 1945 –	مشرفا ومقررا

	ب–	قالمة–	
وردة بويران	أستاذ محاضر – أ–	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة–	ممتحنا

السّنة الجامعية: 2022/2021

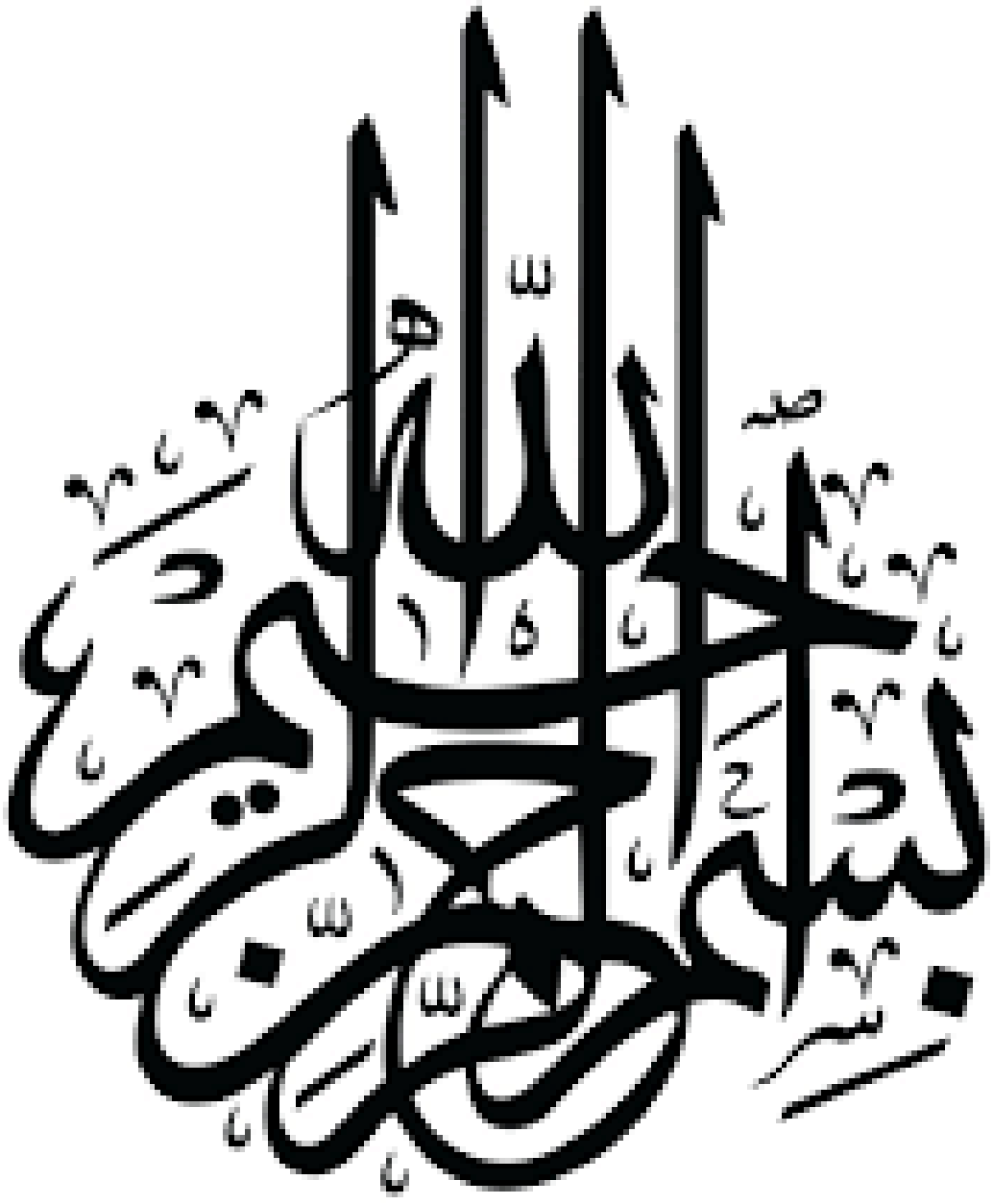
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إلى الواحد الأحد خالق السّماوات والأرض .

إلى صاحب الفضل الأول والأخير الهادي إلى سواء السّبيل – **الله عزّوجلّ**–.

إنّ الباحث الذّي ينهل الحقيقة لابدّ أن يجد عونا ومن هنا فالفضل الأول والأخير إلى الله عزّوجلّ ، فالحمد لله رب العالمين والشّكر لجلاله سبحانه وتعالى الذّي أعاننا على إنجاز هذه المذكرة .

فبعد أن أتممنا مذكرتنا نستذكر الجهود التّي تسببت في وصولنا إلى شاطئ الأمان ، فما كان لها أن تخرج إلى النّور إلاّ بجهدنا ومساعدة الكثيرين : فالشّكر أولا للأستاذ المشرف "**الطّاهر عفيف**" على كلّ نصيحة علمية وعلى كلّ توجيهاته التّي أفادتنا فكان نعم المشرف ، ثمّ إلى كلّ من قصدناه فأعاننا واستنصحناه فنصحناه وبخاصة الأستاذ "**درغوم عبد النّاصر** " الذّي لم يبخل علينا بالتّوجيه والامداد بالكتب والمراجع التّي يسرت طريق البحث ودراساته

دعاء من القلب إلى كلّ من أفادنا ولو بحرف :

فقد قيل : " **من علّمني حرفا ملكني عبدا** "

وشكرا لكلّ من حفزنا بدعاء أو كلمة طيّبة .

فجزى الله الجميع عنّا أحسن الجزاء.

والشّكر كذلك موصول مسبقا إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلها قراءة البحث ومناقشته ، وعلى ما ستقدمه من ملاحظات علمية مؤكدين لهم إعتزازنا المسبق بتوجيهاتهم الرّشيدة وتصويباتهم السّديدة التّي سنفيد منها حتما في تجاوز ما قد يكون قد اعترى البحث من نقص أو قصور.

... ونسأل الله التّوفيق والسّداد ...

مقدمة

مقدمة

مقدمة:

جعل الله تعالى الاختلاف في الآراء والمواقف ووجهات النّظر أمرا طبيعيا بين البشر، وجعل العقل ميزة جوهرية خصّ بها الإنسان و ميّزه عن سائر المخلوقات بالتّفكير المنطقي والاستدلال، والقدرة على الإبداع في مختلف المجالات والعلوم، وجعل اللّغة وسيلة من وسائل التّواصل و أداة للتّخاطب، وقد شكّل موضوع الخطاب منذ فجر التّاريخ أحد أهم المجالات التّي أبدع فيها العقل البشري، فقد اكتسى الخطاب أهمية كبيرة قديما وحديثا وتعددت أوجهه بين ما هو شفوي وما هو مكتوب ، وقد عُدّ الحجاج فعالية خطابية وممارسة فكرية يعتمدها المتكلّم للتّأثير على المتلقي بغية إقناعه واستمالته وتغيير سلوكه ومعتقده؛ ونتيجة لذلك استهوت دراسة الخطاب الحجاجي الجميع انطلاقا من الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون وأرسطو، ثمّ الباحثين والدّارسين الغربيين المحدثين الذّين كانت لهم الرّيادة في هذا المجال، والجدير بالذّكر أنّ المفكرين العرب لم يقفوا مكتوفي الأيدي في هذا المجال، بل ظهر منهم من تمرّس في علم الخطاب وبلاغته وأساليبه ودوّنوا آراءهم وأسهموا في بلورة مفهوم الخطاب الحجاجي، فالمتتبع للنّصوص البلاغية يجد أنّها تحوي وظيفة أساسية تتمثل في الإقناع ، وهذا الأخير لا يتحقق إلاّ من خلال الاعتماد على تقديم حجج وبراهين منطقية تخدم موضوع الخطاب وهذا دليل على وجود علاقة واضحة بين الحجاج والبلاغة منذ القديم، و لإثبات هذه العلاقة وبأنّ الحجاج ظهر قديما وأنّه كان مبثوثا في ثنايا التّراث اللّغوي العربي، ومن هنا بدا لنا اختيار "كتاب مفتاح تلخيص المفتاح " ليكون مدونة لمذكرتنا، إذ يعدّ هذا الكتاب مدونة بلاغية خصبة تتصل بصناعة الكلام وفنونه، وتتّخذ من المنهج العقلي سبيلا للشّواهد والأدلة لها، وعليه جاءت هذه الدّراسة موسومة ب: " **بلاغة الخطاب الحجاجي في كتاب مفتاح تلخيص المفتاح لابن مظفر الخلخالي** "

ومن الأسباب الدّافعة لاختيار هذا الموضوع:

أ/ الأسباب الذّاتية:

1- الرّغبة في التّعرف على أهم مفاهيم الدّرس الحجاجي.

2- حبّ الإطلاع والبحث في خبايا وأغوار موضوع الحجاج في تراثنا العربي.

ب/الأسباب الموضوعية:

1- أهمية موضوع الحجاج كونه موظّفا في جميع أنواع الخطاب.

2- محاولة إظهار دليل وتقديمه على وجود الحجاج منذ القديم في البلاغة العربية.

ولأنّ مجال الدّرس الحجاجي متسع جدًا وآلياته كثيرة ومختلفة فقد تمّ التّركيز على الآليات البلاغية فقط وحصرنا العمل في هذه الجزئية فقط؛ لأنّ الكتاب في الأساس تناول علوم البلاغة الثلاثة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع بالتّفصيل.

وتمثلت أهداف هذا البحث في:

1- محاولة الإحاطة بمفهوم الحجاج ووظيفته وإطاره المعرفي.

2- تحليل أهم النّظريات القائمة في الحجاج منذ القدم.

3- تفكيك البنية الخطابية لكتاب مفتاح تلخيص المفتاح وتحليل طابعه الحجاجي من خلال استخراج ما أمكن من الآليات الحجاجية عامة والبلاغية خاصة التّي استعملها ابن مظفر الخلخالي في كتابه.

وعلى هذا الأساس انطلق البحث من إشكالية أساسة هي: هل بإمكان التّشبيه والاستعارة والمجاز والطّباق والإيجاز والإطناب وما إلى ذلك من وجوه البلاغة أن تدعم طاقة القول الحجاجية وأن تثبت قدرته الإقناعية ، فتعدّ عندها من وسائل التّأثير والاستمالة وهل وُفِقَ الخلخالي في تجسيد ذلك في كتابه ؟

واندرجت تحتها عدة إشكاليات فرعية هي:

1- ما الحجاج وما علاقته بالبلاغة والخطاب؟

2- كيف كانت نظرية الحجاج عند العرب والغرب قديما وحديثا؟

3- ما أهم مواصفات الخطاب الحجاجي ؟

4- كيف تسهم الأساليب البلاغية في حجاجية الخطاب؟

أمّا المنهج المعتمد في هذه الدّراسة فكان بحسب الموضوع أو الجزئية المعالجة؛ لذلك فقد تكاملت المناهج بما يخدم الموضوع، فاعتمدنا على المنهج التّاريخي وذلك لتتبع مسار الدّرس الحجاجي عند الغرب والعرب قديما وحديثا وذكر أهم الأحداث التّي مرّبها الخطاب الحجاجي وسايرها، واعتمدنا المنهج الوصفي الذّي درسنا من خلالها كافة الآليات البلاغية ودورها الحجاجي المستخدمة في خطابات ابن مظفر الخلخالي لتحقيق الإقناع.

وللإحاطة بكافة الأسئلة المطروحة تقاسم متن البحث العناصر الآتية:

مدخل وفصلين تتقدمهما مقدمة وتليهما خاتمة لخصنا فيها أهم نتائج البحث.

أمّا المدخل فكان موسوما ب: مدخل مفاهيمي(البلاغة والخطاب) والفصل الأول تحت عنوان: (الخطاب الحجاجي)والذّي قسمناه إلى مبحثين؛ مبحث أول تناولنا فيه مصطلح الحجاج وكلّ ما يتعلق به، وما يلابسه من مصطلحات كالجدل والاستدلال والبرهان ومسار تطوّره منذ القديم إلى يومنا هذا، أمّا المبحث الثّاني

فكان حول الخطاب الحجاجي وما يتعلق به من تعريف وأنواع وخصائص وسمات، في حين كان الفصل الثّاني موسوما ب: (تمظهرات بلاغة الخطاب الحجاجي في كتاب مفتاح تلخيص المفتاح لابن مظفر الخلخالي)، والذّي قسم بدوره إلى ثلاثة مباحث: تناولنا في كل مبحث علم من علوم البلاغة، فكان المبحث الأول موسوما ب: الحجاج بعلم المعاني تطرّقنا فيه إلى حجاجية الإيجاز والإطناب وحجاجية التّقديم والتّأخير ، أمّا المبحث الثّاني فكان تحت عنوان: الحجاج بعلم البيان والذّي تناولنا فيه البعد الحجاجي لكل من التّشبيه، الاستعارة والكناية ،ليتكفل المبحث الثّالث ب: الحجاج بعلم البديع والذّي تناولنا فيه حجاجية كل من الطّباق والمقابلة والجناس، وختمنا عملنا بخاتمة أودعناها أهم النّتائج المتوصل إليها.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الدّراسات السّابقة في مجال الحجاج كثيرة جدا والتّي نعترف بفضلها وبما وفّرته من معلومات والتّي اتخذناها كأهم المصادر والمراجع لدراستنا هذه، نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

- كتاب الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة.
- اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي لطه عبد الرّحمان.
- استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشّهري.
- كتاب الحجاج في البلاغة المعاصرة ل محمد سالم محمد الأمين الطّلبة.

وقد واجهت البحث صعوبات جمّة نوجزها في النّقاط الآتية:

1- كثرة المادة التّي قمنا بدراستها في الإجراء.

2- نقص الخبرة الكافية لنا لإنجاز هذه الدّراسة.

3- صعوبة تحليل المادة اللّغوية الموجودة في المدونة كون صاحب الخطاب له مادة لغوية خصبة تتخللها ألفاظ جزلة مستقاة من أعماق التّراث اللّغوي العربي القديم.

4- ضيق الوقت مقارنة بما يحتاجه الموضوع من وقت كاف للدّراسة والتّحصيل.

5- كثرة الدّراسات التّي تناولت الدّراسات الحجاجية قصد التّعريف بها فقط أكثر من محاولتها وضع استراتيجيات في التّحليل تؤسس لنظرية عربية مستقلة عن المناهج الغربية في هذا المجال.

وأخيرا لا نزعم أنّنا قد بلغنا الكمال وأنّنا قد أتينا بما لم يأت به من سبقنا غير أنّنا بذلنا جهدا في الوصول فإن وُفقنا فمن الله وإن أخفقنا فمن أنفسنا ولنا أجر الاجتهاد،

والشّكر موصول إلى الأستاذ المشرف جزاه الله عنّا كل خير...

مدخل مفهومي: البلاغة والخطاب

تمهيد

1-مفهوم البلاغة

أ-لغة

ب-اصطلاحا

2-مفهوم الخطاب

أ-لغة

ب-اصطلاحا

ج-الخطاب في الأصول الغربية

تمهيد:

من المعلوم أنّ لكل علم مصطلحاته ومفاهيمه، وكما يقال المصطلحات مفاتيح العلوم، فكثيرة هذه المفاهيم التّي تتداولها الألسن وتغدو متشابهة، ولا يمكن الفصل فيها إلّا بعد الإلمام والعناية بها، ومحاولة إخراجها من معناها المعجمي وإعطائها معنى يتلائم مع السّياق، وها نحن نقتحم المدخل بجملة من المفاهيم التّي شكلت نقطة استفهام بارزة في عنوان بحثنا، وهي: البلاغة، والخطاب، وعلاقتهما بالحجاج، لذا حاولنا تقديم شرح مبسط لهذه المصطلحات، وفك لغز ارتباطها، وإزالة اللّبس والغموض عن مختلف جوانبها.

1-مفهوم البلاغة

أ/ لغة:

تعددت التّعريفات اللّغوية لمصطلح البلاغة ومن أبرز هذه التّعريفات ما جاء في معجم

- **ابن منظور**(ت711ه) الذّي عرفها في مادة(ب ل غ) بأنها: « الفصاحَةُ ،والبَلْغُ ,البليغ من الرجال ،رجل بليغ وبَلْغٌ :حسنُ الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه ،والجمع بلغاء ، وقد بلُغَ، بالضم ,بلاغةٌ أي صار بليغًا وقول بليغٌ: بالغٌ وقد بلُغَ ،والبلاغات: كالوشاياتِ.[1]

- والبلاغة :"الوصول والانتهاء :يُقال بَلَغَ فُلانٌ مُراده ،إذا وَصل إليه وبلَغَ الرَكبَ المدينة إذا انتهى إليها "[2]

أمّا **الخلخالي** فقد قال :"البلاغة في الأصل مصدر بلغ الرجل بالضم بلاغة إذا صار بليغا، ويقال: بلغت المكان إذا انتهيت ووصلت إليه فهي في اللغة الوصول والانتهاء، ويوصف بها الكلام والمتكلم ،يقال :كلام بليغ، ومتكلم بليغ ،نحو :خطبة بليغة وخطيب بليغ، و لا يوصف بها اللفظ المفرد."[3]

وقد قال **فضل حسن عبّاس** نقلا عن **الأصفهاني**: "البلاغة تكون في الكلام، وفي المتكلم، فكما يقال: كلام فصيح، ومتكلم فصيح .يقال :كلام بليغ ،ومتكلم بليغ."[4]

من التّعاريف السّابقة نستنتج لغةً؛ أنّ البلاغة تنحصر في معنى الوصول والانتهاء والاقتراب وإيصال شيء إلى شيء آخر.

---

[1] لسان العرب، مج1، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص487.

[2] السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص40.

[3] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح ، تح: هاشم محمد هاشم محمود ،المكتبة الأزهرية لتّراث، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص33.

[4] فضل حسن عبّاس، أساليب البيان، دار النفائس، عمان، الأردن، ط2، 2009، ص22.

ب/اصطلاحا:

اهتم البلاغيون والنّقاد قديما وحديثا بتعريف البلاغة؛ فقيل: أول البلاغة آلة البلاغة، وذلك الخطيب رابط الجأْش، ساكن الجوارح، قليلَ اللّحظِ، متخيّر اللّفظِ، لا يكلِّم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السُّوقة، ولا ينقحَ الألفاظ كل التّنقيح، ولا يصفّيها كلّ التّصفية، ولا يهذّبها غاية التّهذيب..."[1]

وهي تعني الوضوح والدّقة والإيجاز في الكلام، وأنّ يكون سليما وفيه ذوق جمالي وإبداع يترك أثرًا في النّفس ويكون مناسبا للمقام.

وقال فيها **أبو الهلال العسكري** نقلا عن **إسحاق بن حسّان**: "لم يفسِّر أحدٌ البلاغةَ تفسير ابن المقفَّع؛ إذ قال البلاغةُ اسم لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة؛ منها ما يكونُ في السّكوتِ، ومنها ما يكونُ في الاستماع، ومنها ما يكون شِعرًا، ومنها ما يكون سَجْعًا، ومنها ما يكون خُطَبا، وربمّا كانت رسائلَ. فعامَّةُ ما يكونُ من هذه الأبواب فالْوَحْيُ فيها والإشارة إلى المعنى أبْلغ، والإيجازُ هو البلاغة."[2] أي أنَّ البلاغة لا بد فيها من ذوق وفنٍّ، بحيْث يُدرك المتكلّم متى يتكلم ومتى ينتهي وما المواضع أو القوالب التي تصب فيها المعاني الّتي تصب فيها المعاني التّي رتّبها في نفسه لخلق جمال لغوي ولذّة في نفس المستمع أو المتلقي.

كما تُعرف البلاغة بأنّها:" بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التّراكيب حقها، وإيراد أنواع التّشبيه والمجاز والكناية على وجهها، ولها ؛أعني البلاغة طرفان: أعلى وأسفل، متباينان تباينًا لا يتراءى له ناراهما، وبينهما مراتب، تكاد تفوت الحصر."[3]

نستنتج ممّا سبق ذكره من تعاريف اصطلاحية للبلاغة أنّها ليست إلّا فنّاً من الفنون تتطلب موهبة وإبداع تعتمد على دقة جمال المعنى المخفي بين الأساليب الكلامية.

(و البلاغة: تكون وصفا للكلام، ووصفا للمتكلّم.)

1 . بلاغة الكلام:

"فهي: مُطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف؛ فإنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التّنكير يباين مقام التّعريف، ومقام الإطلاق يُباين مقام التّقييد، ومقام التّقديم يباين مقام التّأخير، ومقام الذِّكر يباين مقام الحَذفِ، ومقام القَصْرِ يباين مقامَ خلافه، ومقام الفَصْلِ يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب

---

[1] الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1998،1، ص 81.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: على محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 2000، ص 20 .

[3] أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، ص 626.

والمساواة، وكذا خِطَابُ الذّكيِّ يباين خطاب الغبيِّ، ولكلّ كلمة مع صاحبتها مقامُ، إلى غير ذلك، وارتفاع شأن الكلام في الحُسْنِ والقَبُول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطُه بعدم مطابقته له."[1]

وممّا سبق تعلم أنّ:"

1. الحال (المقام): هو الأمر الذي يدعو المتكلّم إلى إيراد خصوصية في التّركيب.

2المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

3مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة.

فمثلا الوعظ حال ومقام يقتضي البسط والأطناب، وذلك البسط مقتضى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب مطابقة للمقتضى." [2]

2. بلاغة المتكلّم:

"هي مَلَكةٌ يُقْتَدَر بها على التّصَرُف في فُنُون الكلام وأغراضه المختلفة، بِبديع القول وساحر البيان، ليبلغ من المخاطب غاية ما يريد، ويقع لديه الكلام موقع الماء من ذي الغلة الصّادي، وتلك الملكة لا يصل إليها إلاّ من أحاط بأساليب العرب خبرًا وعرف سنن تخاطبهم في منافرتهم و مفاخراتهم ومديحهم وهجوهم واعتذارهم وشكرهم، ليلبس لكلّ حال لبوسها، ويراعي الخصائص والمقتضيات التي تناسبها".[3]

هذا يعني أنّ المتكلّم يستطيع أنّ يُعبر عَن المعنى الموجود في نفسه مع مُراعاة حال المتلقي من حيث الذّكاء والغباء، والتوسُّط، سواءٌ أكان المتلقي مُنْكرا، أو شاكا أو مصدقا.

2. مفهوم الخطاب:

أصبح مصطلح الخطاب متداولا في مجالات عديدة منها نظرية النّقد واللّسانيات وغيرها من المعارف الأخرى ولعل أبسط وأوضح تحديد لمفهوم الخطاب بدقة هو التّطرق إلى معناه من النّاحية اللّغوية والاصطلاحية.

أ/ لغة:

يقول **ابن منظور**: "الخِطَابُ والمخَاطبَة مُراجعة الكلام "وقد خَاطَبَهُ بِالكلام، مُخاطبةٌ وخِطابًا وهما يتخاطبان، والخُطْبة مصدر الخَطِيب، وخطب الخاطب على المنْبَر، واختطب يخطبُ، خَطابةً، واسم الكلام الخطبة."[4]

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص20.

[2] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1993،3 ،ص36.

[3] المرجع نفسه، ص39.

[4] لسان العرب، مادة (خ ط ب)، ج1، دار صادر، بيروت لبنان، ط3، 1994، ص361.

وجاء في **معجم مقاييس اللّغة**: "خَطَبَ الخَاء، والطّاء، والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اِثنين، يقال: خَاطَبَهُ يُخاطِبهُ خِطَابًا، والخِطبةُ من ذلك، والخطبةُ: الكلام المخْطوب به، ويقال: اِخْتَطبَ القَوْم فُلانًا إذا دَعوه إلى تَزَوجِ صَاحِبتهم، والخطبُ: الأمر يقع، وإنّما سُمّي بذلك لما يقع فيه من التَّخاطِب والمراجَعةُ."[1]

وورد تعريفه في **المعجم الوسيط**: "خَطَبَ النَّاس، وفيهم، وعليهم: خَطابةً، وخُطْبَةً: ألقى عليهم خُطْبَةً، خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً، وخِطَابًا: كَالمَهُ وحَادَثهُ، ووجَّهَ إليهِ كلامًا، ويُقالُ: خَاطَبَهُ في الأَمْرِ: حدَّثَهُ بِشَأْنِهِ، اِخْتَطَبَ. المرْأة: خَطَبَهَا."[2]

كما ورد ذكر لفظ الخطاب في القران الكريم في قوله تعالى: "فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وعزَّنِي فِي الْخِطَابِ.".

(ص/ 23)

فالخِطاب عبارة عن كلام بين المرسل (المتكلّم أو الكاتب) والمرسل إليه (السّامع أو القارئ)؛ يقوم على نِظام لُغَوي مشترك بينهما.

ب/اصطلاحا:

يُعدّ مصطلح "الخِطَاب" من المفاهيم التّي شَاعَت واِنْتشرَت الْكِتَابَاتُ فِيهَا قديمًا وحَديثًا، واِخْتَلَفَتْ تَعْرِيفاتُهُ مِن النّاحية الإصطلاحيةُ بِاختِلَافِ دَلَالَتِهِ حيث نَذكُرُ مِنها:

- تعريف **أبو بَكر العزّاوي** الذّي يقول: "أنَّ الْخِطاب بُنْيَة منطقية طبيعية تتحَكمُ فيها مجموعة من العلاقات المنطقية (علاقات الشّرط، والسّببية، والاستلزام والاستنتاج، والتّعارض)، كما لا يرى أَنّه بُنيةٌ دَاخِليةٌ فقط ولَكِنه بُنْيةٌ خارجيةٌ أيضا."[3]
- تعريف **سعيد يقطين** نقلًا عن معجم اللّسانيات فيما أوردوه في تحديدهم لِمفهوم الخطاب أنّه:" مرادِف الكلام أي الإنْجَاز الفِعليُ للّغةِ بمعنى أنَّ "اللّغة في طور العَمل الذّي تُنْجِزُه ذات معينة، وهو وحدة توازي أو تفوق الجملة، كما أنّه يتكون من متتالية تشكّل مرسلة لها بداية ونهاية وهو هنا مرادفٌ للملفوظ ."[4]

وبهذا فإنَّ مُصْطلحُ الخِطاب قد حَظِيَ بِاهتمامِ العديد مِن الدّارسِين سواء على المستوى الْعربي أو الْغَربي، أين تَطرّقُوا إلى دِراسّتِه تعريفًا و تحليلًا و تفسيرًا.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة،ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2 ،1979 ، ص198.

[2] مجمع اللغة العربي، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، ط4، 2004، ص243.

[3] أبو بكر العزّاوي، الحجاج اللّغوي (قراءات في أعمال أبو بكر العزّاوي)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2017، ص 30.

[4] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3،1997، ص21 .

1– مفهوم الخطاب عند العرب:

أُدْرِجَ مفهوم الخِطَاب واِسْتَخْدَمَهُ بعضُ الأصوليين والْبَلَاغِيين اِسْتِخدامًا مُرادفًا للكلامِ فنجِدُ **الزَّمَخْشَرِي (ت538هـ)** يُعَرِّفُ الكلامَ بِأَنّه: "الْمُرَكَّبُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ أُسْنِدَتْ إحداهما إلى الأُخرَى."[1] وهو هنا يَحْصِرُ مَجال الكلام في مجال الخِطاب ذاتِه مع تَحديده لِلْعَلاقة الْكلَامية بين المتكّلِم والسَّامِعِ.

أمَّا **الشَّريف الجرجاني (ت 816هـ)** فقَد عرّف الكلامَ بِأَنهُ: "مَا تَضَمَّنَ كَلِمَتَيْنِ بِالْإِسْناد."[2] أي أنَّ الكَلام هو ذلك المعنى القَائم على خاصية الإسناد بين العناصر الكلامية أو اللّفظية. ثمّ اتَّخذّ المفهوم أبعادًا جديدةً تَقتَرب من المفهوم الحَديث للخِطَاب مِنها:

تعريف **التَّهانَوي** الذّي قال: "الخِطَاب اللَّفظُ الْمُتواضع عليه المقصود به إفهام مَنْ هو مُتَهَيْءِ لفهمه."[3]

تعريف **طه عبد الرّحمان** حيث قال: "هو كلّ مَنطوقٍ بِه مُوَّجَه إلى الغَيْر بِغَرض إفهامه مَقصودًا مَخصوصًا."[4] فالخطاب إذن؛ هو اللّفظ المتفق عليه الذّي يهدف إلى تحقيق الإفهام لدى المرسل إليه (المتلقي).

وانطلاقا من القرآنِ واِعتمادًا على التَّفاسِير التّي قامَت عليها الْآيات وَرِدَ لفظ الخِطاب بصيغ متعددة منها:

- صيغة الفعل في قوله تعالى: "وإذَا خَاطَبَهُم الْجَاهِلونَ قَالُوا سَلَامًا "سورة الفرقان الآية 25.
- صيغة المصدر في قوله عزَّ وجلَّ: "رَبُّ السَّمَواتِ والأرض لا يَمْلِكونَ مِنْه خِطابًا " سورة النبأ / الآية 78.

يَتّضح مِنْ هذه الآيَاتِ أنَّ مَراتب القدرة على التّعبير تختلف بين النَّاس، والنّتائج المترتبة عن الخطاب تتراوح درجة قوتها وضعفها تبعًا لقوة الخطاب وضعفه.

من خلال ما تطرّقنا إليه من المفهوم الاصطلاحي للخطاب عند العرب تبيّن لنا أنّ الدّراسات العربية اِختلفت في تحديد المفهوم، باختلاف مجال الدّراسة؛ فمنهم من وظّف الخطاب كما جاء في مواضيع عديدة ومنهم من ربط الخطاب بالكلام.

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفضل في علم العربية ،دار عمار لنشر والتّوزيع ،عمان، الأردن، ط1، 2004، ص32.

[2] الشّريف الجرجاني، معجم التعريفات ، تح: محمد صديق المنشّاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، ص155.

[3] محمد علي التّهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،ج1، تح: علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشِرون ،بيروت ،لبنان ، ط1 ،1996، ص749.

[4] طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 215.

ج–الخطاب في الأصول الغربية:

لقد حظي الخطاب لاهتمام الدّارسين والباحثين الغربيين حيث أنّه تبلور في كتابات المعاصرين وفي طليعتهم الفرنسي: ميشال فوكو(M. Foucout) وذلك في محاضراته "نظام الخطاب " فعرّف الخطاب بأنّه: " مصطلح لساني يتميز عن النّص والكلام والكتابة وغيرها ويشمل كلّ إنتاج ذهني، سواء كان نثرا أو شعرا، منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جماعيا، ذاتيا أو مؤسسيا ..."[1] يتّضح من هذا التّعريف أنّ الخطاب عبارة عن عملية إنتاج ذهنية وفروعها المعرفية تختلف عن الكلام والنّص والكتابة.

كما أجمع الدّارسون على ريادة **هاريس** (Harris) في الخطاب من خلال بحثه المعنون ب: "تحليل الخطاب "حيث عرّفه بقوله: "هو ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التّوزيعية وبشكل يجعلنا نظّل في مجال لساني محض "[2] وعلى هذا الأساس يتبيّن أنّ هاريس قد حاول تطبيق منهجه التّوزيعي على الخطاب فلم يربط كلّ العناصر ببعضها البعض بشكل اعتباطي في مختلف مواضع النّص وإنّما جعلها نظام يحدد بنية النّص.

كما نجد تعريفات أخرى للخطاب منها تعريف **ايميل بنفنست** (E. Benveniste) "الخطاب هو كلّ تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التّأثير على الثّاني بطريقة ما." [3]

وكخلاصة لما سبق ذكره عن ماهية الخطاب في الدّراسات الغربية نجد أنّه أخذ وجهين؛ وجه أوّل تمثّل في كونه ملفوظ يقصد به تحقيق الإفهام، ووجه ثان تمثّل في تجاوزه حدود الجملة والبحث في ما يمارسه في السّياقات المختلفة.

---

[1] عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السّياسي، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص115.

[2] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي، مرجع سابق، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص19.

فصل أول: الخطاب الحجاجي

1-الحجاج

أ-مفهومه

-لغة

-اصطلاحا

ب-الخطاب الحجاجي بين التّأسيس والممارسة

1) الحجاج عند الغربيين والعرب القدامى

2) الحجاج عند الغربيين والعرب المحدثين

2-الخطاب الحجاجي، الأنواع، الخصائص، الضّوابط

أ-مفهومه

ب-أنواعه

ج-خصائصه وسماته

د-ضوابطه

1-الحجاج:

أ- مفهومه

يعدّ التّواصل أساس الحياة الإنسانية إذ يسعى الإنسان دائما أثناء التّواصل مع غيره إلى التّأثير فيه وجلب انتباهه من خلال توظيف آليات متعددة ومختلفة ولعلّ أبرزها الحجاج.

لغة:

ورد في **لسان العرب** "حَاجَجْتُهُ أَيْ غَلَبتهُ بِالْحُجَجِ التِّي أَدْلَيتُ بِهَا، وَالحُجَّةُ البُرهَانُ، وَقِيل: الحُجّة مَا عِند الخُصُومة، وَقَال الأَزْهَري: "الحُجَّة الوَجْه الّذي يَكُون بِه الظَّفْر عِند الخُصُومَة، وَهو رَجُل مِحْجَاجٌ أَي جَدِلٌ."[1] وَفِي مَوضِع آخر يَقول: "وَالتَّحَاجِ: التَّخَاصُم، وجَمع الحُجّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، واحْتَجّ بِالشَّيء اتِّخَذه حُجَةً، قال الأزهَري: إنّمَا سُمِيت حُجة لأنَّهَا تحج أي تقصد لأنّ القَصْد لَهَا وَإليها، وكذا محجة الطّريق هي المقصد والمسلك، والحجة الدّليل والبرهان."[2]

من خلال هذا يتّضح لنا أنّ لمصطلح الحِجاج دلالات لغوية متنوعة ترتبط الاستعمالات المختلفة للكلمة في مختلف السّياقات نذكر منها: التّخاصم والتّنازع والبرهان والدّليل والغلبة، والظّفر إضافة إلى المقصد والمسلك.

وقد ورد بمعنى المنازعة والمخاصمة في مواضع عديدة في القرآن الكريم نذكر منها:

قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاَج إِبْرَاهِيمُ فِي ربّه** " (**البقرة / 257**)

وقوله عزّ وجلّ: " **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** " (**آل عمران/ 66**)

وقوله أيضا في موضع آخر: " **وَحَاجَّهُ قومه قال أتحاجّونني في الله وقد هدان** " (**الأنعام / 80**)

وجاء في **معجم مقاييس اللّغة** " يقال: حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجّة وذلك الظّفر يكون عند الخصومة، والجمع: حجج والمصدر الحجاج "[3]

وقال **الشّريف الجرجاني**:" الحُجّة ما دَلّ على صِحة الدّعْوى وقِيل الحُجّة والدّليل واحد. "[4] في تعريفه هذا نجد أنّه لم يبتعد في رأيه عن رأي ابن منظور، حيث جعل الحجّة كدليل لصحة دعوى المخاطب، جاعلا الحجّة والدّليل سيّان.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح ج ج)، مج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1997، ص228.

[2] المرجع نفسه، ص228.

[3] ابن فارس، مقاييس اللّغة، ج1، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص278.

[4] الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، تح:محمد عبد الرّحمان مرعشلي، دار النّفائس، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003، ص145.

ممّا سبق ذكره نلاحظ أنّ المدلولات اللّغوية لكلمة **الحجاج** في المعاجم العربية لا تكاد تخرج عن معنى البرهان والدّليل، كما لا تخرج عن معنى التّخاصم والمغالبة بالحجّة.

" وفي المقابل نجد ضمن معاجم اللّغة الفرنسية لفظة **Argumentation** تدّل حسب معجم **روبير Robert** على:

_ القيام باستعمال الحجج.

_ مجموعة الحجج التّي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

_ فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة. "[1]

وبذلك يكون مدلول كلمة **الحجاج** حسب معجم روبير يدور حول استعمال الحجج في الإثبات والمنازعة لإقناع الغير .

وهكذا يكون الحجاج في اللّغتين " العربية والفرنسية " دالا على البرهان والدّليل والإثبات وعلى التّخاصم والمعارضة أيضا.

اصطلاحا :

أمّا من النّاحية الاصطلاحية فقد أورد الكثير من الدّارسين الغربيين والعرب تعريفات مختلفة للحجاج، إلّا أنّ معظم هذه التّعريفات الاصطلاحية تُجمع على أنّ الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين متكلم ومستمع حول قضية معينة، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع المستمع ومستمع له حق الاعتراض إن لم يقتنع ،إذْ يعرفه **محمد العبد** بقوله: "إنّ الحجاج جنس خاص من الخطاب ،يُبْنى على قضية خلافية، يعرض فيها المتكلّم دعواه مدعومة بالتّبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًا قاصدا إقناع الآخر بصدقِ دعواه ،والتّأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية." [2]

ممّا سبق نجد أنّ محمد العبد يشترط أن ينبني الحجاج على قضية خلافية أي أن يقوم على قضية محل خلاف بين شخصين أو اكثر ،وتأتي آراء كل منهم مدعومة بالشّواهد والأدلة والبراهين قصد إقناع الطّرف الآخر.

كما أورد **حافظ اسماعيلي علوي** تعريفا للحجاج في كتابه **'الحجاج مفهومه ومجالاته -دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة –** حيث يقول: "إنّ الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة والبراهين المؤدية إلى نتيجة

---

[1] نور الدّين بوزناشة ، الحجاج بين الدّرس البلاغي والدّرس اللّساني الغربي – دراسة تقابلية مقارنة – ، أطروحة دكتوراه ، جامعة لمين دباغين ،سطيف، 2016 ، ص10.

[2] نقلا عن: طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان والتّكوثر العقلي، مرجع سابق، ص225.

معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية وبعضها الآخر بمثابة النّتائج الّتي تُسْتَنتَجُ مِنْهَا."[1]

من خلال ما تقدّم نجد أنّ اسماعيلي علوي في تعريفه للحجاج قد ركّز على الحجّة أكثر والدّور الّذي تلعبه في الإقناع، كونه جملة من الأقوال المتتالية الّتي تمثل تارة حججا وأدلة لغوية وتارة أخرى نتائج لتلك الأقوال.

كان ما سبق ذكره بعض النّماذج لتعريف الحجاج عند العرب أمّا عند الغربيين فسيتم ذكره فيما يلي:

يقدّم **بيرلمان** تعريفا للحِجاج يركّز فيه على وظيفته وهي: "حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزّيادة في حجم هذا الاقناع ."[2] معنى هذا أنَّ فائدة الحجاج تكمن في إقناع شخص معين بقضية ما أو الزّيادة من شدّة إقناعه عن طريق الأدلة والحجج للتّأثير فيه وحمله على القيام بعمل معين.

بالنّظر إلى التّحديدات الاصطلاحية لكلمة الحِجاج سواء عند العلماء العرب أو عند الدّارسين الغربيين، فإنّها تأخذ معانٍ متقاربة تتمثل في الدليل والبرهان والمنازعة والمغالبة لإلزام الخصم أو المتلقي وإقناعه بقضية معينة، وهي لا تختلف كثيرا عن المدلول اللّغوي للكلمة.

ولكن لتحديد هذا المفهوم بدقة ينبغي مقارنته بمجموعة من المفاهيم التّي طالما اعتبرها عدد من الدّارسين مرادفات لكلمة الحجاج ومن بين هذه المفاهيم (الجدل ،البرهان، الاقناع، والاستدلال ...)

1. الحِجاج والجدل:

ذهب بعض الدّارسين في استعمالاتهم إلى جعل الجدل مرادفا للحِجاج، **فابن منظور** يساوي بينهما في قوله: "...رجل مِحجاج أي جدل، ويشير **محمد الطّاهر بن عاشور** في كتابه (**تفسير التّحرير والتنوير**) إلى الفرق الدقيق بين المعنيين في استخدام القرآن الكريم إياهما، باعتبار أنّ الجامع بين اللّفظين (الحِجاج والجدل) هو المخاصمة، لكن المخاصمة قائمة على الباطل معتمدًا في ذلك على قوله تعالى: " **أَلَمْ تَرَ إِلى الّذي حَاجّ إبراهيمَ فِي رَبّهِ أنْ أَتَاهُ اللهُ المُلْكَ** " (**البقرة / 258**) في حين الجدل منه ما هو حق ومنه ما هو باهو باطل" [3].

---

[1] حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2001، ص 57.

[2] ينظر: سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، –من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنياته وأساليبه–، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007، ص21.

[3] ينظر: محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّنوير، دار سحنون للنّشر، تونس ،(د ط)، (د ت)، ص194.

وقد بقّيت هذه النّظرة حتّى عصرنا هذا حيث نرى كثيرا من الدّراسات الحديثة تجعل المصطلحين مترادفين في استعمالات كثيرة إذ ذهب **طه عبد الرّحمان** في تعريفه للحجاج إلى ربطه بالجدل يقول: "وجدّ الحجاج أنّه فعالية تداولية جدلية ."[1]

أمّا **عبد الله صولة** فقد اعتبر مسألة ترادفهما مغالطة كبيرة، إذ يؤكّد أنّ الحجاج أوسع مجالا؛ ذلك " أنّ كل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلاً."[2]

2الحِجاج والبرهان والاستدلال:

عادة ما يتم الخلط بين هذه المفاهيم الثّلاثة، لكّن هناك فرق بينها فالبرهان شكل من أشكال الاستدلال "فالبرهان ينتمي في الأصل إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية بينما ينتمي الحجاج إلى مجال الخطاب الطّبيعي" [3] ومنه يتجلى الفرق بين الحجاج والبرهان باعتبار أنّ البرهان مجاله ينطلق من اتساقات صحيحة وبديهية، أمّا الحجاج فيرتبط بما هو متعدد الدّلالة، كما يوجد شيء جوهري وأساسي بين البرهان والحجاج يتمثل في "أنّ البرهنة والحجاج يتصلان بنظامين مختلفين تماما ،نظام ما نسميه عادة المنطق ونظام ما نسميه الخطاب."[4]، **أي** أنّ مجال البرهان المنطق في حين يتعلق الحجاج بالخطاب.

الخطاب الحجاجي بين التّأسيس والتّنظير:

1 . الحجاج عند الغربيين والعرب القدامى:

1.1 ملامح الخطاب الحجاجي عند العرب قديما :

أولى العرب قديما عناية كبيرة بالكلام والتّخاطب، فاعتمدوا على تقسيم وجوه الكلام ومناسباته تناسبا مع متلقيه أيا كان، ومهما كانت طبقته وقد ورد الحِجاج بتسميات اختلفت باختلاف آراء كل دارس وباحث، فنجد من بين من اهتم بالحجاج:

أ/ الجاحظ (ت 255هـ):

ورد الحِجاج عند **الجاحظ** بمعنى "البيان" وهذا ما نجده في كتاب **' البيان والتّبيين '** إذ يقول: "هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضّمير حتى يفضي السّامع إلى حقيقته ويهجم على

---

[1] طه عبد الرحمان ،اللسان والميزان والتّكوثر العقلي، مرجع سابق، ص35.

[2] عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن الكريم، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص15.

[3] حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، مرجع سابق، ص185.

[4] صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدّراسات والنّشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص27.

محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدّليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التّي إليها يجري القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام فأيّ شيء بلغت به الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ."[1] كما التفت الجاحظ إلى الحجاج في عدة مواضع أخرى مركّزا على مختلف المسائل الحافلة به، فمن ذلك قوله:" جماع البلاغة البصر بالحجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة وقوله في موضع آخر فقد كان سهل بن هارون يقول: سياسة البلاغة أشدّ من البلاغة."[2] والمتأمل في مختلف تعريفات البلاغة التّي أوردها الجاحظ في كتابه " البيان والتّبيين " يقطع ومن غير شك أنّ البلاغة هي الحجاج، فقد أعطى للبلاغة وظيفة إقناعية.

كما تناول **الجاحظ** أيضا المتكلّم وهدفه من الخطاب والغاية التّي يَرومها "فالجاحظ دائمُ الإلحَاح على الشّروط اللاّزم توفرها في المتكلّم من حيث الخبرة والحدق للآلة والنّصوص الاستشهادية لكل حجاج، هذا علاوة على تخيّر القالب اللّغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد."[3] حيث يقول في ذلك: "... إنّ فصل القول فيما يخص الخطيب من صفات جسدية وملكات ذهنية ولم يقتصر حديثه على تعداد مميّزات الخطيب الإيجابية التّي تمنح خطابة القبول من حلاوة والحذق فيه، بل فطن إلى التّنبيه على الخصائص السّلبية التّي تضعف من موقفه مثل: العيوب والعيّ ... "[4] ؛ معنى ذلك أنّ الجاحظ تناول أهم المعايير التّي توافرها في الخطيب كونه أساس العملية الحجاجية، ثمّ نبّه إلى أهم الصّفات التّي تجعل الخطاب ناجعا، حيث يتوجب على الخطيب ترتيب حججه ترتيبا ممنهجا منظما لاستمالة المتلقي والتّأثير فيه، وهذا التّأثير لا يتحقق إلاّ إذا كان المتكّلم عارفا بأحوال السّامعين وثقافتهم إذْ يقول في ذلك: " ... وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللّفظ، لا يكلّم سيّد الأمة والملوك بكلام السّوقة، ويكون في قواه فضل التّصرف في كلّ طبقة ..."[5]

ومن هنا نستخلص أنّ كل ما توصل إليه الجاحظ فيما يخص المتكلّم والسّامع، ومعنى البيان والإفهام والبلاغة... وغيرها تصبّ في الدّرس الحجاجي الذّي أسهم في إثرائه وقدّم فيه الكثير؛ ممّا سهل علينا فهمه والكشف عن مختلف خباياه.

---

[1] الجاحظ، البيان والتّبيين، (ج1 ،ج2)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003 ، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص197.

[3] ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتّداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص30.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب 'مقاربة لغوية تداولية'، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص448.

[5] الجاحظ، البيان والتّبيين، مرجع سابق، ص92.

ب/ السّكاكي (ت 226هـ):

بَرَز الحِجاج في كتابه ' **مفتاح العلوم** ' الذّي تناول فيه العديد من العلوم، وهي على حدّ تعبيره " علم الصّرف وتمامه، وعلم النّحو وتمامه...حيث قسّم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: علم الصّرف والاشتقاق ثمّ علم النّحو ثمّ يليه علمي المعاني والبديع وختاما المعرفة بالحدّ والاستدلال "[1]، ولعل المحطة الأولى لحديثه عن الحجاج تظهر حين يدرج السّكاكي المقام في تعريفه لعلمي المعاني والبديع فيقول:"... قد تحققت أنّ علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائه "[2]، وعند وأنّ الاستدلال بالنّسبة على سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها أو شعبة فردة من دوحتها علمت أنّ تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان والبديع... "[3] يتضح من خلال القول أنّ **السّكاكي** جعل الاستدلال شرطا لازما للكلام، كما اشترط على صاحب علم المعاني والبديع أن يكون عارفا بالاستدلال؛ وذلك لكبر الفائدة وعظمة البرهنة به.

" وما نخلص إليه أنّ **السّكاكي** قدّم بحثا في الحجاج تحت مصطلح الاستدلال، ونلمس تنبيهه لأهمية هذا العلم حيث جعله لازما لصاحب علم المعاني وعلم البيان، من هذا المنطلق نستشف علاقة الحجاج بالبيان والمعاني والنّحو."[4]

من خلال كل ما تقدّم يتبيّن مدى أهمية ما قدمه **السّكاكي** فيما يخص الضّوابط الواجب توافرها في الكلام حتّى يؤدي وظيفته التّواصلية بشكل حسن. فيكون **السّكاكي** بذلك قد ربط بين فكرة مقتضى الحال – وأنّ لكل مقام مقال – وكيفية ترابطها مع علوم البلاغة الثّلاثة (علم المعاني والبيان والبديع) من خلال كلمة الاستدلال التّي تعدّ أساسا لكلّ من الحجاج والخطاب.

ج/ابن وهب (ت 335 هـ):

يُعدّ **ابن وهب** أحد أهم الدّارسين العرب الذّين خاضوا في موضوع الحجاج وحاولوا تقديم حوصلة شاملة له يمكن الاستفادة منها في الدّرس اللّغوي، فقد قدّم في كتابه **'البرهان في وجوه البيان '** تعريفا للجدل والمجادلة كونه مرادفا للحجاج " إذ جعل منه خطابا تعليليا إقناعيا، وميّز من خلاله بين أنواع الجدل وقسّمه إلى جدل محمود وآخر مذموم ... واشترط مجموعة من الشّروط التّي يجب توفرها في المحاجّة، كأن لا يقبل قولا إلاّ بالحجة ولا

---

[1] ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتّداولية، مرجع سابق، ص35.

[2] السّكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص543.

[3] السّكاكي، مفتاح العلوم، تح : دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،(د ط) ، (د ت) ، ص543.

[4] ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتّداولية، مرجع سابق، ص42.

يردّه إلاّ لعلة، وألاّ يجيب قبل فراغ السّائل من سؤاله، وألاّ يستصغر خصمه ولا يتهاون فيه... "[1] نفهم من هذا أنّ "ابن وهب " وضع الحجاج تحت مسمى الجدل، كما عدّ الاحتجاج خطابا مبنيا على التّعليل والإقناع وفي ذلك يقول:" وأمّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد بهما إقامة الحجّة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين."[2] ؛ أي ينبغي للمجيب أن يقنع وأن يكون إقناعه يوجب على السّامع القبول.

وقد اشترط **ابن وهب** في أدب الجدل ما يلي:"[3]

- أن يحلم المجادل عمّا يسمع من أذى.
- ألّا يعجب برأيه وما توسوس له نفسه.
- أن يكون منصفا غير مكابر؛ أي يطلب الإنصاف من خصمه ويقصد بقوله وحجته.
- أنْ لا يستصغر خصمه ويستهين به. "

ممّا سبق يتّضح لنا أنّ معالجة العرب القدامى للحجاج تمثّلت في ثلاثة اتجاهات رئيسية أساسية: "[4]

- **الأول**: اتجاه أدبي خطابي؛ ويمثله " **الجاحظ** " في كتابه " **البيان والتّبيين** " .
- **الثّاني**: اتجاه منطقي فقهي؛ يمثله " **ابن وهب** " في كتابه " **البرهان في وجوه البيان**".
- **الثّالث**: اتجاه بلاغي منطقي؛ يمثله " **السّكاكي**" في كتابه "**مفتاح العلوم** ".

وهناك أقطاب أخرى لم يتسنّ لنا ذكرهم أمثال " **عبد القاهر الجرجاني** " و "**أبو هلال العسكري** " ... وغيرهما الكثير".

وختاما نستخلص أنّ الدّرس الحجاجي العربي القديم كان مبثوثا في ثنايا البلاغة العربية، وقد ورد عند العديد الدّارسين والبلاغيين بمعان مختلفة؛ فقد جاء بمعنى البيان والجدل، والمجادلة...، وصفوة القول أنّ البحث الحجاجي كان موجودا في الدّراسات البلاغية القديمة، وإن لم يعرف بمصطلحاته الحديثة.

---

[1] نقلا عن: حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4(الحجاج والمراس)، عالم الكتب الحديث، اربد الأدن، ط1، 2010، ص9.

[2] ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: جفني محمد شرف، دار العلوم، القاهرة، مصر، (د ط) ، 1969، ص176.

[3] المرجع نفسه، ص176.

[4] ينظر: جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، (د ط)، 2000، ص143.

2-1 الحِجاج في الدّراسات الغربية قديما:

تعود جذور الحجاج في الدّراسات الغربية إلى ما قدّمه الفلاسفة والمفكرون اليونانيون الذّين تناولوا الكثير من الظّواهر اللّغوية التّي تتعلق بالممارسات اللّغوية اليومية حيث " إنّ الفكر البلاغي الحجاجي الغربي تجسّد أكثر وبكل مكوناته بحثا ومصطلحا من خلال كتاب " فنّ الخطابة " ل: أرسطو. "[1]

أ/ عند السّفسطائيين:

السّفسطائية هي حركة فكرية فلسفية " برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللّغوية البلاغية وبالخبرة الجدلية، ويتجلى ذلك من خلال تسميتهم التّي تعني الحكيم الخبير بكل فن وأسلوب"[2]

والجدير بالذّكر أنّ وجود هذه الحركة أدى إلى " تطوير البلاغة القولية التّواصلية خاصة والحياة الفكرية عامة، فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي توليدي للأفكار، الأمر الذّي أسفر عن اهتمام بالغ بالطّرائق الحجاجية الإقناعية. "[3]

كما نجد الحجاج عند السّفسطائيين يقوم على الاختلاف ويهدف إلى تحقيق الاستمالة وتحقيق الفعل التّأثيري على مستوى ذهن المتلقي وسلوكه إذ " بحسب الأفكار التّي أتى بها السّفسطائيون النّفعية واللّذة أفضت بهم إلى توجيه الحجاج بمقتضى المقام الذّي يدور فيه الحوار، وذلك بتوظيف سلطة القول وفكرتي التوجيه والتّوظيف وهذه محطات سيكون لها دور بنائي في معظم البحوث الحجاجية ."[4] ، وبذلك نستخلص من خلال ما تقدّم أنّ الحركة السّفسطائية حركة حجاجية جسدت الحجاج وما يتعلق به من أبحاث فلسفية ومنطقية ، حيث أصبحت تعرف باسم خاص ينسب إلى طريقتها في الكلام والخطاب وهو "**الحجاج السّفسطائي** ".

ب / عند أفلاطون:

بدأ **أفلاطون** طريقه في هذا الجانب متّبعا نهج معلمه سقراط ، من خلال صراع أساسه مسألة القول والكلام، حيث جاء في محاوراته مع السّفسطائين والتّي أودعها في كتبه منها: "جوريجياس " حيث أنكر منهج السّفسطائيين وتفكيرهم، ليقدّم على إثرها تصورا فلسفيا عقليا مجردا، إذا أعطى الأولوية للفكر والعقل والمثال، بينما لا وجود للمحسوس في فلسفة المفارقة لكل ما هو نسبي وغير حقيقي ."[5]، وفي ظلّ هذا الصّراع الفلسفي

---

[1] ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتّداولية، مرجع سابق، ص21.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص24.

[3] المرجع نفسه، ص24.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص26.

[5] جميل حمداوي، نظريات الحجاج ، شبكة الألوكة، www.alukah.net، ص11.

الذّي كان موضوعه جدال أفلاطون للسّفسطائيين حول الخطابة ووظيفتها "يرى أفلاطون أنّ صناعة الخطابة تبنى على ثلاثة أركان وهي: اعتماد المنهج الجدلي، معرفة أنواع النّفوس وما يناسبها من أقاويل، معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب."[1] ، فهو بهذا أراد أن يجعل الخطابة جدليّة لذلك اعتبر الجدل وسيلة من أجل نقل الحجاج من الظّن إلى الحقيقة هذا من جهة ومن جهة أخرى اعتمد مبدأ التّناسب بين القول والسّامع إذا أنّ النّفوس تختلف من حيث درجات تهيئها لقبول التّأثير بالطّرق المستعملة في إقناعها، فما نقنع به نحن قد لا يقنع به غيرنا والعكس صحيح، ومراعاة المبدأ نفسه في مستوى الأسلوب (مراعاة المقام).[2]

ج/ عند أرسطو:

لقد جعل **أرسطو** الحِجاج بؤرة الخطابة إذ يعتبر كتابه **'فن الخطابة'** من أقدم الكتب التي اهتمت بالإقناع وأدواته، وكان اهتمامه منصبا على الخطاب ووظائفه، فوضع مفاهيم دقيقة تمثّل أصول نظرية في البلاغة القديمة وكان للحجاج النّصيب الأكبر في الدّراسة والتّدقيق باعتباره لبّ وجوهر العمليات الخطابية التّواصلية، وكان منطلقه في ذلك "الفكرة القائلة أنّه إن كان أفلاطون قد رفع بتجريده ومثاليته الفلسفة من الأرض إلى السماء، فإنَّ **أرسطو** بدراساته الإنشائية قد أعادها إلى الأرض."[3] ، لقد درس أرسطو الجدل في علاقته بالخطابة وما يتصل به من أقوال حجاجية قبل أن يبحث في البرهان وخصائصه البلاغية عامة والعلمية خاصة؛ "كما أنّه يركز خلافا لأستاذه أفلاطون على خصائص حجاجية مهمة هي :الرأي الاحتمال والممكن والتّخييل على اعتبار أنّها ذات دلالات بالغة في حياة النّاس ."[4]

وقد عاب على السّفسطائيين إنتاج الحجاج وما يتعلق به من آليات، وقام بصياغة أنماط من الحجاج المضاد لكل مغالطاتهم اعتمادا على منهج تفكيكي لأقوالهم. وقد حاول أرسطو الموازنة بين وسائل الإقناع ووسائل التّأثير وربط بين خاصية ووسائل التّأثير وربط بين خاصية الكلام والتّعبير عند الإنسان وبين الإقناع حيث يقول: "فالإنسان لأنّه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع ويحاوره، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من النّاسِ بوسائل مستمدة من التفكير الذّي جُوبِيَّ به من الطبيعة".[5] ، وبهذا يكون أرسطو قد "تناول الحجاج

---

[1] ينظر: حمادي صمّود، أهم نّظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، المطبعة الرّسمية للجمهورية التّونسية ،(د ط)، (د ت)، ص81.

[2] ينظر: المرجع السّابق، ص83-84.

[3] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص32.

[4] المرجع نفسه، ص33.

[5] ينظر :أرسطو طاليس، كتاب الخطابة، تر: إبراهيم سلمى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1953، ص35.

من زاويتين متقابلتين: من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية ،فمن الزّاوية البلاغية يرتبط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع ،ومن الزّاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضّرورة، فهاتان النّظرتان المتقابلتان تتكاملان في التّحديد الذّي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب إذا يبيّنه انطلاقا من أنواع الحُضور ومن الرّغبة في الإقناع."[1] وقد ميّز **أرسطو** بين نوعين من الحجاج هما الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي إذ "رأى أنّ الأول أوسع من الثّاني فهو يمارس في فحص قضايا الفكر وفحص جوانب من الأحكام المتعلقة بالسّلوك ،كما يمارس في توجيه الفعل وإن كانت ممارسته أدخل في البحث الفكري، أمّا الثّاني فمجاله هو توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه."[2]

وختاما نخلُصُ إلى أنَّ **أرسطو** قد سعى إلى بناء صرح حجاجي جديد له علاقات شتّى ومجالات عدة، مخالفا بذلك الأساليب التّي جاء بها السّفسطائيون وأفلاطون، داعيا بذلك إلى بلاغة قولية عمادها الحجاج وقوامها عناصر العملية التّواصلية.

2 – الحجاج عند الغربيين والعرب المحدثين:

1.2 الحجاج في الدّراسات الغربية الحديثة:

لقد أعطت الدّراسات الغربية الحديثة للحجاج تصورًا أدق ممّا عرف في الدراسات القديمة وذلك نظرًا لتطور النظريات والمناهج اللسانية، حيث عرف الحجاج تعديلات وإضافات جعلت منه نظرية قائمة بذاتها، وذلك من خلال الاستعانة بأعمال أهم الباحثين الغربيين المحدثين وهما "**بيرلمان** "و " **ديكرو**" وذلك من خلال كتابهما المعنون ب: **'مصنف في الحجاج البلاغة الجديدة '**.

أ/الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:

يُعدّ" **بيرلمان" و " تيتيكا** " مؤسسا نظرية البلاغة الجديدة (الحجاج)، إذ أعادا للدّرس اللّغوي بريقه وأمداه بروح جديدة، حيث جاءا بما يسمّى **مدرسة البلاغة البرهانية** التّي شكلت المرحلة الأخيرة لتطوير البحوث البلاغية في كل الثورة اللسانية المعاصرة.

كان" **بيرلمان** "مستحدث مصطلح "**البلاغة الجديدة** "الذّي جاء في عنوان أحد كتبه الشّهيرة (**مقال في البرهان :البلاغة الجديدة**)، ويعتمد هذا الكتاب على محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاججة الاستدلالية

---

[1] ينظر :محمد طروس، النّظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقية واللسانيّة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2015، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص15.

باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع، كتقنية خاصة ومميزة لدراسة المنطق التّشريعي والقضائي على وجه التحديد وامتداداته على بقية مجالات الخطاب المعاصرة."[1] ، بل يمكن القول أنّ الثّورة البلاغية الحقيقية هي تلك التّي قادها "بيرلمان "في مجال البلاغة مطلع هذا القرن بنظريته الحجاجية أو البلاغة الجديدة " [2]

نستنتج أنّ النّظرية الحجاجية عند **بيرلمان** وليدة هذا العصر ولكنّها أضافت الكثير للدّرس اللغوي وجهوده وبحوثه في هذا المجال الكثير وقد أخذت اسم "**البلاغة الجديدة** " لدوافع أهمها:

√ "حداثة الأبعاد الّتي تهتم بها.

√كونها ذات خصائص إنسانية ،فقد أجريت داخل قسم الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة بروكسل (بلجيكا)."[3]

وقد أشار "**أوليفير وبول** " إلى الملامح الخمسة الّتي تحدّد مفهوم الحجاج عند **بيرلمان** وهي:[4]

1. أن يتوجه إلى مستمع.
2. أن يعبّر عنه بلغة طبيعية.
3. مسلماته وبديهياته لا تعدو كونها احتمالية.
4. ألا يفتقر تقدمه وتناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
5. نتائجه غير ملزمة."

لقد نشأت بلاغة "**بيرلمان وتيتيكا**" الجديدة تحت تسمية مرادفة لها وهي "**الحجاج**" وعرّف الباحثان الحجاج بالقول الآتي: "غاية كل حجاج أن يجعل العقول (تذعن لما يطرح عليها من آراء أو أن تزيد في درجة الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإدغان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو يجعلهم يمسكون عنه ...."[5]

وبهذا يتبيّن أن نقطة ارتكاز البلاغة الجديدة هو العقل (إذعان العقول) والكلام (تقنيات الخطاب)، وبذلك يتحدد الحجاج في بلاغة **بيرلمان** بقدرته على توجيه الأذهان إلى الإذعان. "فالحجاج عنده يهتم بالمخاطب الّذي

---

[1] محمد السالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ،عالم الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2000، ص63.

[2] نور الدين بوزناشة ،الحجاج بين الدرس البلاغي والدرس اللساني العربي، مرجع سابق، ص132.

[3] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص104.

[4] ينظر :حبيب أعراب ،الحجاج والاستدلال الحجاجي' عناصر استقصاء' ، مجلة عالم الفكر ،مج 50 ،العدد 11 ،سبتمبر 2001 ،ص90.

[5] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا، الشرق، بيروت، لبنان، (د ط)، 1999، ص31.

يسعى إلى تفعيل المخاطب ووصف كل ما ابتعد عن العلم والعقل بالمجرد، وهذا ما ساعد "**بيرلمان** " على ربط الجدل بالبلاغة ضمن مشروعه."[1]

ب/ عند ديكرو :

تؤكّد كثير من الآراء أنّ المنطلق الأساسي لنظرية الحجاج هو من اللّغة وليس من الجانب الجدلي، وما البلاغة إلاّ مقدمات تمهيدية لنظرية الحجاج، وقد أكّد ذلك كثير من الدّارسين وفي مقدمتهم **أبو بكر العزاوي** الذّي اعتبر المؤسس الفعلي لنظرية الحجاج هو " **ديكرو**" وذلك من خلال قوله: " إنّ هذه النّظرية التّي أسسها اللّغوي الفرنسي " **أوزفالد ديكرو** " (**O . Ducrot**) منذ 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللّغوية وبإمكانات اللّغات الطبيعية التّي يتوفر عليها المتكلّم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثمّ إنّها تنطلق من الفكرة الشّائعة التّي مفادها أنّنا نتكلّم عامة بقصد التّأثير."؛ إذ أنّ المنطلق في الحجاج عند "**ديكرو** " منبثق من التّداولية حيث تأثر بنظرية الأفعال اللّغوية ل " **سيرل و أوسطن** " وحاول بناء نظرية خاصة به انطلاقا من أفكار كل منهما، حيث يعرّف **ديكرو** الحجاج قائلا: "إنّ الحجاج يكون بتقديم المتكلّم قولا (ق1) أو مجموعة من أقوال يقتضي إلى التّسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى "[2] فالحجاج عند **ديكرو** هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، ويقول **عبد الله صولة**:" أوزفالد ديكرو قد حصر درس الحجاج في نطاق دراسة اللّغة لا في البحث عمّا هو واقع خارجها أنّ إمكانيات التّتابع الحجاجي تتحدد من خلال عمل لغوي langage(Acte de) مخصوص هو عمل الحجاج. ومثالنا في ذلك هو قولنا: [3] " لنخرج للنّزهة بما أنّ الطّقس جميل، أو في قولنا: الطّقس جميل فلنخرج للنّزهة " أنّ نوضح ذلك بالرّسم الآتي:

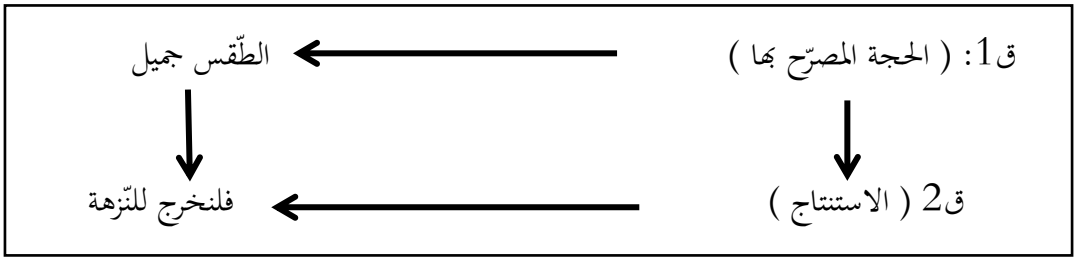

[1] ينظر :بوزناشة نور الدّين، الحجاج في الدّرس اللغوي الغربي، مرجع سابق، ص32.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص3.

[3] المرجع نفسه، ص 34.

ومنه فالحجاج عند **"ديكرو"** هو " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية وبعضها الآخر بمثابة النّتائج التّي تستنتج منها"[1]

2-2 الحجاج في الدّراسات العربية الحديثة:

لقد كان لانفتاح العرب على الثّقافة الغربية أثر بليغ وجلي في مختلف المجالات وخاصة ما تعلّق بالدّرس اللّغوي، حيث انصّب الدّارسون والباحثون على البحث في مختلف جوانب اللّغة متخذين لأنفسهم مشاريع تختلف باختلاف زاوية الرؤية لكلّ باحث، وكان للحجاج النّصيب الأوفر في هذه الدّراسات والبحوث – رغم أنّه كان ضاربا في أعماق تراثهم وتناوله مختلف الدّارسين العرب قديما- وقد تمثلت جهود الدّارسين العرب المحدثين للحجاج في أعمال وأبحاث مجموعة من الباحثين نذكر منهم:

أ / أبو بكر العزاوي:

أحد الباحثين العرب المحدثين الشّغوفين بالبحث في ثنايا اللّغة العربية ولا سيما ما تعلّق بالحجاج حيث تطرّق إليه من عدة نواحي نذكر منها: " تركيزه على ما يمنحه المرسل من سلطة في السّياق وذلك في مقالة **' سلطة الكلام وقوة الكلمات'**."[2]

إذ يعتبر أنّ وظيفة الحجاج هي الوظيفة الأولى للّغة معتمدا على ما يعرف " **السّلالم الحجاجية** في تحليله للخطاب"[3]

إضافة إلى مؤلفاته الكثيرة التّي تؤكّد أنّ (لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل)، حيث يقول في مقدمة كتابه ' اللّغة والحجاج ' "إنّنا نتكلّم عامة بقصد التّأثير[...] وأنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية [...] وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التّي تسعى إلى اكتشاف منطق اللّغة. "[4]

يمكن إجمال أعمال وإسهامات العزاوي في الحجاج في كتابيه **'الحجاج واللّغة'** " الذّي يدرس فيه الحجاج في مستوى اللّغة " [5]

وكتاب **'الخطاب والحجاج'** " الذّي يدرس الحجاج في مستوى الخطاب ويتممه."[1]

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، العمدة في الطّبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص19.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 453.

[3] المرجع نفسه، ص454.

[4] أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، مرجع سابق، ص8.

[5] المرجع نفسه، ص10.

ب/ طه عبد الرّحمان :

هو أستاذ للمنطق وفلسفة اللّغة لذا كانت نظرته للحجاج ذات طابع فلسفي، ففي كتابه **'اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي'** يقول:" إنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج." [2] ويعرّف الحجاج قائلا: " إذ حدّ الحجاج أنّه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها."[3]

كما أنّه يؤكد في هذا الصّدد أنّ الحجاج هو الأصل في الخطاب وهو ما أطلق عليه اسم **'العلاقة الاستدلالية البانية لحقيقة الخطاب '** فيقول: " يتعيّن علينا أن نبيّن كيف أنّ المظهر التّكاثري الذّي يتجلّى به الخطاب متفرع على العلاقة الاستدلالية التّي ينبني عليها."[4]

وقد صنّف طه عبد الرّحمان الحجاج إلى عدة أنواع وهي:

1- "الحجاج التّجريدي: وهو الاتيان بالدّليل على الدّعوى على طريقة البرهان علما بأنّ البرهان هو الاستدلال الذّي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النّظر عن مضامينها واستعمالاتها "[5] أي أنّ هذا النّوع يبنى على اعتبار الصّورة وإلغاء المضمون والمقام ، وهذا النّوع هو أدنى مراتب الحجاج.

2- "الحجاج التّوجيهي: هو إقامة الدّليل على الدّعوى بالبناء على فعل التّوجيه الذّي يختص به المستدل، والتّوجيه هو إيصال المستدل حجته إلى غيره "[6] ففي هذا النّوع يركّز المخاطب على قصده و أفعاله المصاحبة للرّسالة، وهذا النّوع في الدّرجة الثّانية من درجات الحجاج.

3- "الحجاج التّقويمي: هو إثبات الدّعوى بالاستشهاد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه "[7] فهذا النّوع عبارة عن تشخيص " ينبني على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التّلقي معا، لا على سبيل الجمع بينهما فحسب؛ بل على سبيل استلزام أحدهما للآخر."[8] هذا النّوع هو أعلى درجات الحجاج يأخذ فيه المحتج بوجهة نظر المعترض إضافة إلى وجهته الخاصة باعتباره مدعيا.

---

[1] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص10.

[2] طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، مرجع سابق، ص213.

[3] المرجع نفسه، ص225.

[4] المرجع نفسه، ص225.

[5] المرجع نفسه، ص226.

[6] المرجع نفسه، ص227.

[7] المرجع نفسه، ص228.

[8] المرجع نفسه، ص228.

إنّ أهم ما ركّز عليه **طه عبد الرّحمان** في مشروعه البلاغي الفلسفي الذّي أورده في كتبه المختلفة يمكن إيجازه في المخطط الآتي:

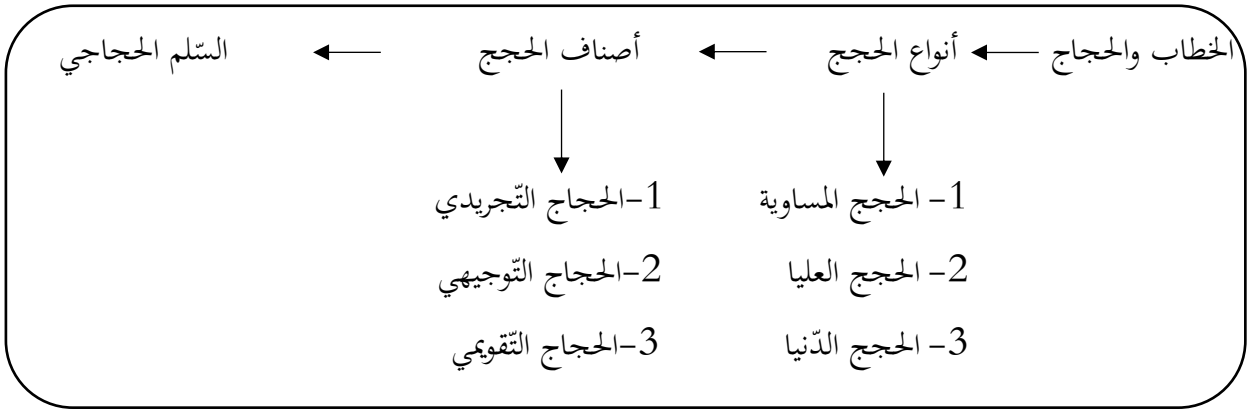

ج/ محمد العمري :

حاول **محمد العمري**" تطبيق نظرية أرسطو في الإقناع على نماذج من خطابة القرن الأول الهجري متتبعا في ذلك تقسيم أرسطو الثّلاثي لعناصر الخطابة ؛ وهي وسائل الإقناع أو البراهين والأسلوب أو البناء اللّغوي وترتيب أجزاء القول " [1] **فمحمد العمري** كغيره من الباحثين العرب تأثر بالمناهج الغربية وحاول تطبيقها على اللّغة العربية " بيد أنّه صنف الخطابة إلى دينية وسياسية وذكر كل ما يندرج تحت كل صنف مثل: الخطابة الوعظيّة والمناظرات المذهبية وحوار الأنداد والرّاعي مع الرّعية، كما عرض لتوظيف بعض الشّواهد الجاهزة مثل: الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية والأمثال...."[2] ، وقد كان مرتكز **العمري** في دراسة الحجاج هو الإقناع حيث يقول:" وقديما عمل أفلاطون في محاورته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة "[3]، ويقول أيضا:" وبدأ الحنين من جديد إلى ' ريطورية ' أرسطو التّي تتوصل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال ... "[4]

يقتضي ما تم ذكره أنّ إسهامات **محمد العمري** في درس الحجاج غزيرة وقد أدرجها ضمن كتابه ' **في بلاغة الخطاب الإقناعي** '.

---

[1] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ، ص450.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص451.

[3] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي 'مدخل نظري وتطبيقي بدراسة الخطابة العربية'، دار افريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2002، ص13.

[4] المرجع نفسه، ص14.

وبهذه الدّراسة يمكن أن نعطي نظرة عامة عمّا قدمته الدّراسات العربية من جهود أسهمت في بلورة مصطلح " الحجاج " بالمفهوم المتناول اليوم، إذ يعتبر الموروث العربي في هذا الإطار إلى جانب ما قدمته الدّراسات الغربية القديمة من جهود بعض الفلاسفة والمفكرين الإرهاصات الأولى التّي كان لها الفضل في تطوّر البلاغة بمفهومها القديم للوصول إلى أرقى المراحل من الدّراسات على يدّ الكثير من العلماء والباحثين العرب خصوصا أمثال: ' **أبو بكر العزاوي** و **طه عبد الرحمان** و**محمد العمري** ...' ، إضافة إلى جهود الباحثين والمفكرين الغربيين التّي كانت لهم الرّيادة في هذا المجال أمثال: ' **بيرلمان** و**تيتيكاه** و **ديكرو** ... ' وغيرهم الكثيرين ممن أسهم في الرّقي بالبلاغة القديمة وتطويرها إلى ما يعرف اليوم بالبلاغة الجديدة أو الحجاج.

الخطاب الحجاجي ،الأنواع ،الخصائص والضوابط:

أ– مفهومه

إنّ الخوض في طبيعة الخطاب الحجاجي وما يحيل إليه من الدّلالات وما يشير إليه من رموز وصور هو البحث عن مختلف الأطراف المشكلة له، وهي في الأساس وجود طرفين (متكلّم ومتلقي) أو (المخاطب و المخاطب)؛ إذ يعدّ المتلقي حلقة الوصل في عملية التّواصل (فمن أجله وإليه يتوجه الخطاب)، ويعدّ التّواصل حاجة ضرورية عند الإنسان، ويتم باستعمال اللّغة التّي تتجسد في الخطابات، والغاية الأساسية من هذه الأخيرة مهما كان نوعها الإقناع والحجاج "[1] معنى ذلك أنّ الخطاب الحجاجي مجال لساني فصيح يتأسس على توافر وجهتي نظر في موقف مواجهة تدخلان معا في إطار علاقة تفاعلية، تهدف إلى ترسيخ وجهة النّظر المتبناة؛ وإقناع الآخرين بها؛ ومن ثم تتوجه بالإقناع إلى المتلقي، كما تهدف إلى تعرية وجهة النّظر المقابلة وإعادة تفسيرها وصياغتها لصالح الوجهة الأخرى، وقد ميّز ' **طه عبد الرّحمان** ' بين خطابين، خطاب يقوم على إقامة علاقة تخاطبية بين شخصين أو أكثر وخطاب قائم على الادعاء والاعتراض حيث يقول: " لكن ماهية الخطاب ليست في مجرد إقامة علاقة تخاطبية بين جانبين فأكثر، لأنّ هذه العلاقة على قدرها وفائدتها قد توجد حيث لا يوجد طلب إقناع الغير بما دار عليه الخطاب، فقد يحصل أحد الجانبين القصدين المطلوبين في قيام هذه العلاقة وهما قصد التّوجه إلى وقصد إفهامه [...]، وإنّما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدين التّخاطبيين المذكورين قصدين معرفيين هما: ' **قصد الإدعاء وقصد الاعتراض** '. "[2]

---

[1] محمد برقان، الخطاب الحجاجي والاتصال– مقاربة تداولية–، كتابات معاصرة، فنون وعلوم، العدد 58، بيروت، لبنان، تشرين الأول، 2005، ص6.

[2] طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، مرجع سابق، ص225.

(**فالإدعاء**: هو اعتقاد وتصديق النّاطق لما يقوله واستعداده للبرهنة عليه أمّا **الاعتراض**: فهو المطالبة بدليل وحجة لإثبات صحة وصدق القول).

أمّا **عبد الهادي بن ظافر الشّهري** فقد عرّف الخطاب الحجاجي بقوله: " الخطاب الحجاجي ميدان ثري للدّراسات المتنوعة؛ وهو ثمرة لقدرة الإنسان التّواصلية بوصفه ممارسة ناتجة عن تفعيل الكفاءة الحجاجية ذاتها، لهذا يفترض أن ننظر إلى الحجاج ضمن الإطار الكلّي لعملية التّواصل الإنساني."[1] معنى ذلك أنّ كل خطاب قائم على غرض الإقناع والإفهام عن طريق تقنيات معينة، حيث يقوم فيه المتكلّم بتقديم حجة بعد حجة للتّأثير في المتلقي و إقناعه بالقضية المتبناة.

وقد وردت العديد من التّعريفات الأخرى للخطاب الحجاجي نذكر أبرزها: تعريف **سامية الدّريدي** في " أمّا الخطاب الحجاجي فيوسم بكونه نصا مترابطا متناغما يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضّرورة واضحة جليّة، بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه "[2] **أي** أنّ الخطاب الحجاجي خطاب غائي ينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضّرورة؛ لأنّ هناك خطابات ذات غاية شخصية لا تهدف إلى إقناع الآخر وفي هذا الصّدد يقول **مثنى كاظم صادق**:" على سبيل المثل لا على سبيل الحصر الخطاب الحجاجي هو خطاب موجه، وكل خطاب موجه يهدف إلى الإقناع يكون له بالضّرورة بعد حجاجي "[3] بمعنى أنّ الخطاب الحجاجي هو اشتراك المتكلّم فيما يعتقده المتلقي.

وكخلاصة لما تمّ ذكره نستخلص أنّ الخطاب الحجاجي خطاب موجه وهادف؛ يتم فيه اللّجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل بهدف تعديل فكرة أو تبني قضية ما أو رفضها، وهو خطاب غائي موجه؛ غايته إقناع المتلقي بما يحمله المتكلّم من أفكار والتّأثير فيه.

ب–أنواعه

تقسّم الدّراسات الحديثة الخطاب الحجاجي إلى خطابات متنوعة نظرا لاختلاف مجالاتها المعرفية والمنهجية؛ فنجد الخطاب الحجاجي البلاغي والخطاب الحجاجي الفلسفي، والخطاب الحجاجي التّداولي " وقد مثّل هذه الإتجاهات الحجاجية ثلاثة من الباحثين العرب فأول الثّلاثة: **طه عبد الرّحمان** الذّي اتخذ الخطاب

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، آليات الحجاج وأدواته، مقال، ص76.

[2] سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي 'بنيته وأساليبه'، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص26.

[3] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي، ' تنظير وتطبيق على السّور المكية، كلمة للنّشر والتّوزيع، أريانة، تونس، ط1، 2015، ص 17.

الحجاجي عنده صبغة فلسفية قواهما القصدية والتّواصل، وثانيهما: **أبو بكر العزاوي** والذّي ربط الخطاب الحجاجي بطابع لغوي قوامه اللّغة في حدّ ذاتها كجملة من الأقوال، وثالثهما: **محمد العمري** والذّي نقل الخطاب الحجاجي نقلة نوعية؛ تميّزت كمحطة تداولية تقوم على التّزويد وتصدير الإقناع إلى مجالات أخرى " [1] ومن هنا يمكن أن نستدل على وجود نوعين من أنواع الخطاب الحجاجي وهي: المنطقي " الفلسفي " وغير المنطقي " البلاغي والتّداولي ".

وفيما يأتي تفصيل لهذه الأنواع الحجاجية الثّلاثة:

أ/ الخطاب الحجاجي البلاغي:

البلاغة عبارة عن آلية الحجاج بسبب استعمالها الصّور البيانية والمحسنات البديعية التّي تضفي على الخطاب جمالية تستميل السّامع أو القارئ؛ فالبلاغة إذن تجعل المتلقي يقتنع بما يسمعه من أفكار عن طريق إشباع عقله والتّأثير في مشاعره، " وقد فرّقت الدّراسات العربية القديمة بين الخطابة والبلاغة ،فعدّت الخطابة نوعا من القول والتّخاطب، أمّا البلاغة فهي بعد أسلوبي في هذا القول، لذلك جاز الحديث عن بلاغة الخطاب واستحال العكس "[2] ومن خصائص الأسلوب الحجاجي البلاغي أنّه " اشتمل على العلوم الثّلاثة: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع؛ فعلم المعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنّب الأخطاء والاستهجان في تأدية المعنى من خلال كلام معين، ويستهدف علم البيان البحث عن كيفية تجنّب أوجه الغرابة والتّعقيد في الكلام، بينما ينصبّ علم البديع على تحسين الكلام وإضفاء جمالية التّعبير عليه."[3] ؛ معناه أنّ الخطاب الحجاجي البلاغي فن للتّعبير يستعمل فيه المتكلّم أدوات تأثيرية معينة لاستمالة المتلقي، فالخطاب الحجاجي البلاغي يضم مختلف الاستراتيجيات التّي يستعملها المتكلّم من أجل إقناع المتلقي وقد عبّر عن ذلك **مثنى كاظم صادق** في كتابه **' أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي '** فقال: " إنّ الحجاج البلاغي فتح أبواب عود الخطاب ورجوع وظيفة الإقناع والتّأثير في صيغة لم تعرفها من قبل، وأصبح الخطاب يعتمد في إنجاز تلك الوظيفة وإحداث التّأثير بأساليب متنوعة منها ما يقوم على بلاغة الصّورة ومنها ما يقوم على بلاغة الخطاب الفائقة التّأثير."[4]

ب/ الخطاب الحجاجي الفلسفي (المنطقي):

---

[1] عبد الباسط ضيف وعيسى أخضري، صور الخطاب الحجاجي العربي المعاصر، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، مج 9، العدد5، المركز الجامعي تمنراست ، الجزائر، 25ديسمبر 2020، ص 411 -412.

[2] هاجر مدقّن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ' دراسة تطبيقية في كتاب المساكين، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، 2003، ص 4.

[3] المرجع السّابق، ص 41.

[4] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي، مرجع سابق، ص47.

يعدّ الحجاج بعدا جوهريا في الفلسفة وآلية إجرائية لها، ومن معاييره القوة أو الضّعف في الإقناع بهدف التّأثير؛ وبما أنّ الفلسفة خطاب يسعى إلى الإقناع فمن البديهي أن تكون القدرة على الحجاج آلية من آليات التّفكير الفلسفي..."[1]، ويعتمد الحجاج الفلسفي على الحوار والجدل كما أشار إليهما **أرسطو** بقوله:" إنّ النّاس يشاركون بدرجات متفاوتة في كليهما لأنّهم جميعا إلى حد ما يحاولون نقد قول أو تأييده"[2] ، "وقد تناول **حبيب أعراب** هذا النّوع من الخطابات أو هذا النّوع من الحجاج بعبارة أدق فيهما يسمّيه ي: **حجاج الفلسفة [...]** فالتّفكير الفلسفي تفكير حجاجي بامتياز "[3] وعلى هذا الأساس ينطلق حبيب أعراب في ذلك من مجموع تساؤلات يطرحها وعلى أساسها يستجلي وضعية الحجاج في الفلسفة لأهداف نظرية وأخرى تطبيقية تعليمية وهذه التساؤلات هي ":[4]

1- **أيّ حجاج يتم إتباعه واعتماده في الفلسفة ؟**
2- **هل يجوز الحديث عن الحجج في قول الفلسفة وإنتاجها، أم عن الدّلائل والبراهين؟**
3- **هل توجد طريقة خاصة بالفلسفة في استعمال الحجاج ومتطلباته ؟**
4- **ما الذّي يضطر الفيلسوف أو المتفلسف إلى الاستدلال الحجاجي؟**

بمعنى أنّ عملية الحجاج ليست مقصودة لذاتها وإنّما هي مبررات وأهداف تعليمية وفكرية .

وفي صدد التّعمق والتّدقيق في هذا النّوع من الخطاب الحجاجي نضيف أنه "في إطار الإجابة عن الطّرح الذّي يبحث في نوع الحجاج المتبع والمعتمد في الفلسفة يشير "**حبيب أعراب**" إلى لزوم اعتبار الحجاج الفلسفي شرطا حاسما لها، يعدّها خطابا للعقل والمعقولية، وهذا الوصف يجّر عددا من الاستشهادات التّي تقضي بأنّ هذا الخطاب هو خطاب الدّليل والبرهان لا خطاب الحجة والبينّة."[5] ،إذ أنّ الخطاب الفلسفي ليس خطابا برهانيا وإنّما هو خطاب حجاجي لذا يجب أن لا نخلط بين الحجاج والبرهان وفي هذا الصدد يؤكّد "حبيب الأعراب أنّ الممارسة الحجاجية والاستدلالية في ميدان الفلسفة ليست مقصودة لذاتها ،ومن ثمّة فهي ليست معزولة كليّا عن

---

[1] المرجع نفسه، ص53.
[2] أرسطو طاليس، فن الخطابة، مرجع سابق، ص22.
[3] ينظر :هاجر مدقّن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، مرجع سابق، ص 43.
[4] المرجع نفسه، ص 43-44.
[5] ينظر: المرجع السابق، ص44.

الإجراءات والأبعاد الأخرى في هذا النّمط من القول. "[1]، ويضيف مثنى كاظم صادق أنّ الخطابة الأرسطية تمثل مصدرا مهما من مصادر الخطاب الحجاجي الفلسفي لأنه ينطلق من وسائل الاستمالة الآتية: "[2]

1) **الآيتوس**: وهو مجموعة الخصال المتصلة بالخطيب والمؤدية إلى إحلال الثقة في الجمهور، ويعبر بها عن الأخلاق.

2) الباتوس: وهو ما ينبغي أن يثيره الخطيب في الجمهور من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تحقق اقتناعهم، والتّسليم بمحتوى الخطاب.

3) **اللّوغوس**: وهو الخطاب نفسه، ويعبّر عنه اللغويون المحدثون ب (الرّسالة)، التّي يؤدى فيها الأداء اللغوي دورًا حاسما في تحقيق هذه الاستمالة سواء بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي أو بهما معًا."

نفهم من كل ما تقدّم أنّ آلية الحجاج في الفلسفة تتمثل في نقل إجرائياته لكنها تختلف عمّا جاء في الخطاب الحجاجي البلاغي إذ يعدّ الحجاج آلية وإجراء لخدمة الحجاج نفسه.

ج/ الخطاب الحجاجي التّداولي:

"تشغل التّداولية مساحة واسعة من الدّراسات النّقدية المعاصرة كونها وسيلة من وسائل الكشف عن علاقة اللّغة بمستعمليها، إذ ينظر إلى اللّغة على أنّها خطاب تواصلي وظيفي ذو قوة إنجازية مع المتلقي "[3] وقبل أن نفصل القول فيما يتعلق بالخطاب الحجاجي التّداولي لا بد أن نعرج على نقاط توضيحية أولها مفهوم التّداولية كونها " دراسة اللّغة في الاستعمال (in use) أو في التّواصل بين المتخاطبين (in interaction) لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلّم وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللّغة (négotiation) بين المتكلّم والسّامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما "[4] ، وكما هو معروف فإنّ مصطلح التّداولية يرجع إلى الفيلسوف "**شارل موريس**"؛ ولكن الظّهور الفعلي للتّداولية كتيار في الدّراسات اللّسانية المعاصرة كان بعد جملة من فلاسفة اللّغة هم: "**سيرل، أوستن وغرايس** "؛ وتقوم التّداولية أساسا على الأفعال الكلامية حيث يقول مثنى كاظم صادق: " إنّ التّحليل السّليم

---

[1] المرجع السابق، ص44.

[2] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الخطاب الحجاجي والتداولي، مرجع سابق ،ص53- 54.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص50.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، مصر، (د ط)، 2002، ص14.

لأفعال الكلام هو الغرض الرّئيس للتّداولية لأنّه لا يمكن أن يتم بغير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التّصرف " [1]، ويؤكّد **حبيب أعراب** أنّ دراسة الخطاب الحجاجي من شأن التّداولية لأنّ الخطاب الحجاجي التّداولي في الخطاب يندرج تحت التّداولية يقول **مثنى كاظم صادق**: " إنّ الحجاج التّداولي في الخطاب يندرج تحت التّداولية لخضوع الخطاب الحجاجي في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتّلقي ، وتبرز فيه مكانة القصدية والتّأثير والفعالية ومنه قيمة أفعال الذّوات المتخاطبة ومكانتها."[2]، وقد عبّر أحد الباحثين عن مصطلح الخطاب التّداولي بقوله: "... ويوجد تيار ناتج عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه ؛ تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، يمكن جمعها تحت عنوان: 'الفلسفة اللّغوية 'ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة: كالفلسفة التّحليلية ...، وتيار ينبع من اهتمام اللّسانيين بالتّخاطب وذاتية المتكلّم وخصائص الخطاب ... "[3]

وقد أكدّت الدّراسات الحديثة – كما يرى **حبيب أعراب**– أنّ الخطاب الحجاجي ينطوي في البعد التّداولي في عدة مستويات هي: " [4]

1- مستوى أفعال اللّغة المتداولة في الحجاج.

2- مستوي السّياق.

3- المستوى الحواري."

وقد ميّز **مثنى كاظم صادق** جملة من المفاهيم الأساسية للحجاج التّداولي وهي: " [5]

1- وجهة النّظر: إنّ الإدعاء أو الاعتراض في قضية ما هي مما يؤسس وجهة النّظر بعدّها معنا حجاجيا غالبا ما يشك فيه المتلقي، فيسعى المرسل إلى إقناعه بقبول الدّعوى المطروحة بعدّها تمثّل وجهة نظر المرسل.

2- القضية: الحجاج عبارة عن قضية أو مجموعة قضايا يتم إدعاؤها والدّفاع عنها.

3- العرض: إنّ الحجاج بحسب التّداولية استعمال مجموعة من التّقنيات لتسويغ قضايا مطروحة من المرسل عن طريق العرض.

---

[1] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج والتّداولي والبلاغي، مرجع سابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص50.

[3] ينظر: نعمة دهش فرحان الطّائي، الخطاب الحجاجي وصلاته الاجتماعية، جامعة بغداد، مجلة الأستاذ، مج 1، العدد 220، 2017، ص 149.

[4] ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مرجع سابق، ص 110-111.

[5] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي، مرجع سابق، ص53.

4- الاعتراض: يفرض التّحاج بالضّرورة وجود معترض على الدّعوي أو وجهة نظر؛ فالاعتراض يهدف إلى الوصول إلى صدق القضية أو كذبها وبالنّتيجة الإقتناع أو عدم الإقتناع بها. "

ج-خصائصه وسماته:

1/ الخصائص:

أ/ خاصية البناء والدّينامية:

إنّ غاية ما يمكن تحصيله من عملية الحجاج أو عمليات الحجاج هو أنّ القواعد والأسس ترتبط بميدان اللّغة في علاقتها بالإنسان والعالم عبر التقنيات التّي تبلور تلك الأفكار، وتلك العلاقات وتلك التّمثلات، سواء تعلقت بمنطق الحيّاة أو قطاعاتها المختلفة (منطق السياسة، منطق الأخلاق)، أو بمنطق اللّغة أو بمنطق العقل، لذلك تأتي فعالية الخطاب الحجاجي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره، وديناميةمكوناته."[1]

ولهذا ينبغي التّركيز على الأهم والأساس في الحجج فيجب على المتكلم عند الإجابة، البحث عن الأساليب الدّقيقة التّي تبرر وتفسر أسسه ومتطلباته واستعمال الحجج الملائمة والمؤثرة.

ب/ خاصية التّفاعل:

يعدّ الاختلاف في الرأي سببا في الدّخول إلى ممارسة الحجاج ،حيث احتاج كل من المتكلّم والمستمع إلى تحقيق نوع من "التّزاوج" في نفسه ومواصلة هذا التّزاوج حتى نهاية التّخاطب ببلوغ الاتفاق بينهما.[2] فالحجاج ينبني على مبدأين أساسيين هما مبدأ الادعاء ومبدأ الاعتراض اللّذان يؤديان إلى الاختلاف في الرّأي أو في الدّعوى وهو ما يؤدي إلى تحقيق نوع من التّزاوج الظّاهر أو المفترض الذّات الاعتبارية) للمتكلّم والمخاطب. "[3]

و هذا التّزاوج الاعتباري للمتكلم والمخاطب أسفر عن ازدواج في أركان العملية الحجاجية [4]

√ ازدواج في القصد: أي حصول الوعي بالقصدين عند كل منهما.

√ ازدواج التّكلّم: كما لو كان المستمع هو الذّي يتكلم، أو كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع.

---

[1] د ،عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، افريقيا، الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 2006، ص129.

[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص 265.

[3] :ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص 130.

[4] المرجع نفسه، ص130.

√ ازدواج الاستماع: كما لو كان المستمع يحمل المتّكلم في سمعه.

√ ازدواج السّياق: يحتوي سياق إنشاء القول على نصيب من سياق التّأويل، كما يحمل سياق التّأويل نصيبا من سياق الإنشاء.

ج/خاصية الالتباس:

يعدّ الحجاج عمق الالتباس، فعلى الرغم من ضرورة التّقيّد بالآليات و الأدوات و التّقنيات التّي يعتمدها الحجاج لتشكيل القول، فإنّ المجال يبقى مفتوحا أمام مهارة المتكلم في فن القول، وإظهار كفاءته الإبداعية لكي يصل بسهولة إلى إفهام الآخر.[1] فيأتي الالتباس المجاز الذّي هو: "الاستدلال بعبارة على إشارتها ويكون جامعا بين معنيين متقابلين هما العبارة والإشارة."[2]

د/خاصية التّأويل:

هي عملية تقييم القول الحجاجي تقييمًا إيجابيًا أو سلبيًا وذلك على مستويين:

- مستوى أول: وذلك عن طريق استقبال القول، كعلامات لغوية تُحَولُ فيها الرّسالة من السنن إلى الخطاب.

مستوى ثانٍ: حيث تتم عن طريق تعالق عنصري الفهم والتّأويل؛ فهم أولي لمعنى القول ،ثم فهم ثان، أو تأويل لمعنى معنى القول، وهنا قد تدخل بعض العوامل الخارجية لتحديد البعد التّأويلي وذلك لأنّ طبيعة الحجاج لا تقوم على وصف خارجي وإنّما تقوم على التّدليل على بعض النّتائج.[3]

و/ خاصية الاعتقاد:

من الجوانب الأساسية في العملية التّخاطبية هو استهداف اعتقادات الإنسان، التّي تشكل رهانا صعبا في كل حجاج، فبرغم من كون هذه الاعتقادات لا تمثل عناصر مادية ملموسة وتخلو من كل استدلال ذي بعد علمي برهاني، لذلك ارتبط أمر الاعتقاد ببعض القيم الإنسانية (تضحية، نبل، ايثار) التّي عليها مدار الحجاج والتّي يراهن عليها المتكلم كي يذعن السّامع لما يطرحه من آراء ومواقف.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص131.
[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، مرجع سابق، ص232.
[3] ينظر: عبد السلام عشير ،عندما نتواصل نغير، مرجع سابق، ص 132.
[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 133.

هـ/خاصية الانتهاض إلى العمل:

تتمثل هذه الخاصية في مدى تأثير القول الحجاجي الذّي يدفع غالبا إلى رد فعل معين، قد يكون عملا أو كفًا عن عمل أو تحويلًا لمساره، وهذا العمل هو الذّي يؤكّد بالملموس حصول اقتناع معين، ولا يكون هذا الاقتناع لدى المستمع إلاّ بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، باعتبار هذه المطابقة دليل وحجة مادية تزكي موقف المتكلم وتؤكده، كما أنّ هذه الخاصية تعد مبدأ أساسي ومحوري في كل الجوانب التّواصلية.[1]

2/ السّمات:

لقد جمع **رونو** سمات النّص الحجاجي في النّقاط الآتية:

●**القصد المعلن:** إنّه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه بالوظيفة الإيحائية (Conative) للكلام.[2]

●**التّناغم:** يوظّف التسلسل الذّي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال، وتكون له معرفة لنفسية المتلقي وقدراته، ويتجلى أيضا في نصّه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام أي الانفعال له.[3]

●**الاستدلال:**

ذلك لأنّه السّياق العقلي والتّطوّر المنطقي للنّص الحجاجي الذّي يقوم على البرهنة فيكون بنائه على نظام معيّن، تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة، فإذا أعدّنا الحجاج إلى أبسط صوره، وجدنا ترتيبا عقليًا للعناصر اللّغوية يستجيب لنية الإقناع.[4]

●**البرهنة:**

إليها تردّ الأمثلة والحجج وكل تقنيّات الإقناع مرورًا وأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة.[5]

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص134.
[2] سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص26.
[3] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، مرجع سابق، ص41.
[4] نظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص27.
[5] المرجع نفسه، ص 27.

●الغائية:

يذكر" محمد طرّوس" في كتابه" النّظرية الحجاجية" أنّ فينو يذهب إلى القول بأنّ الخطاب الحجاجي خطاب غائي، وينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيًا بالضرورة، لأنّ هناك خطابات ذات غاية شخصية خاصة؛ فالخطاب الشّعري مثال للخطابات الغائية والتّي ليست حجاجية ولا تهدف لإقناع الآخر، فيفترض في هذه الخطابات أنّ تكون:

* مكونة من قضايا وأطروحات تكون استدلالً، وتترجم بكيفية مباشرة أو غير مباشرة مقف الخطيب من إثباتات وأحكام وانتقادات.
* تُحيل دائما على آخر، وُسم أم لم يوسم في الخطاب؛ (فرد، مجموعة، حالة اجتماعية، رأي عام...).[1]

وهو بذلك يحدد موقف الخطيب اتجاه موضوع ما، وبهذا الموقف تتحدد مكانة الخطيب داخل التّشكيلة الاجتماعية.

●الحوارية أو التّحاورية :

يعدّ النّص الحجاجي في جوهره حوار مع المتلقّي؛ حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس النّص ومتلقيه وهي علاقة تتّخذ أشكالًا عديدة يكشفها الخطاب ذاته، وعموما تبقى هذه الخاصية، هامة وأساسية في تأكيد حجاجيّة النّص إذ تجعله بشكل ضمني أو صريح موضع رؤى متباينة متناقضة.[2]

بمعنى أنّ الحوار هو الذّي يدور بين الأقطاب المتحاورة (المخاطِب، المخاطَب)، وهو الذّي يستلزم مراعاة مستوى المتلقي ،حتى يتمكن المحاور من التّوجه إليه مُطْلِعًا إياه على ما يعتقد وما يعرف.

د. ضوابطه

هناك العديد من الضّوابط التّي تميّز النّص الحجاجي عن غيره من النّصوص الأخرى منها:[3]

1- أن يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل: الثوابت الدينية، والعرفية، فليس كل شيء قابل للحجاج.

---

[1] ينظر: محمد طرّوس، النظرية الحجاجية، مرجع سابق، ص90.
[2] :ينظر :سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص 28.
[3] ينظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص266-267.

2- أن تكون دلالة الحجاج محددة، والمرجع الذّي تحيل إليه محددا بيد أن تفاوت التّأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى، ولكنّه لا يكسبه دقة ونهاية.

3- ألاّ يقع المرسل في التّناقض في قوله أو فعله، وأن يكون الحجاج موافق للعقل وإلاّ بَدَا زَيْفُ الخطاب ووهن الحجة.

4-أن يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين، لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها.

5- ضرورة خلو الحجاج من الإبهام والمغالطَة والابتعاد عنها.

6- امتلاك المرسل لثقافة واسعة (بقدر ما أملك من ثقافة ،بقدر ما أملك من حجج) يقول "جبل دكلارك": "إنّ الحجاج وهو يتّخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلا له يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح بإتّخاذ قرار في ميدان يسوده النّزاع وتطغى عليه المجادلة."[1]

وبهذه الدّراسة يمكن أن نعطي نظرة عامة عمّا قدمته الدّراسات العربية من جهود أسهمت في بلورة مصطلح " الحجاج " بالمفهوم المتناول اليوم، إذ يعتبر الموروث العربي في هذا الإطار إلى جانب ما قدمته الدّراسات الغربية القديمة من جهود بعض الفلاسفة والمفكرين الإرهاصات الأولى التّي كان لها الفضل في تطوّر البلاغة بمفهومها القديم للوصول إلى أرقى المراحل من الدّراسات على يدّ الكثير من العلماء والباحثين العرب خصوصا أمثال: ' **أبو بكر العزاوي** و **طه عبد الرحمان** **ومحمد العمري** ...' ، إضافة إلى جهود الباحثين والمفكرين الغربيين التّي كانت لهم الرّيادة في هذا المجال أمثال: ' **بيرلمان وتيتيكاه** و **ديكرو** ... ' وغيرهم الكثيرون ممن أسهم في الرّقي بالبلاغة القديمة وتطويرها إلى ما يعرف اليوم بالبلاغة الجديدة أو الحجاج فتحولت بذلك البلاغة من فنية إلى منطقية وهذا ما جعل الحجاج محطّ اهتمام الكثير من الدّراسات الحديثة وظهور ملامحه بشكل واضح في كثير من الكتب التّراثية وعند العديد من الشّراح. كما أفضى بنا البحث في طبيعة الخطاب الحجاجي وما يقوم عليه من خصائص وضوابط إلى أنّه نوع خاص من أنواع الخطابات له ثلاثة أنواع (خطاب حجاجي بلاغي، وخطاب حجاجي فلسفي، وخطاب حجاجي تداولي)، وهذه الأنواع الثّلاثة لها خصائص وسمات جوهرية وأنّ غياب أيّ خصيصة أو ضابط قد يخل به، ولكن ما تجدر الإشارة إليه أنّه ورغم اختلاف الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات الأخرى فإنّها ترتبط ارتباطا وثيقا من خلال الغاية التّي تروهما جميعا وهي إثارة المتلقي ولفت انتباهه.

[1] سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص24.

فصل ثانٍ: تمظهرات بلاغة الخطاب الحجاجي في كتاب مفتاح تلخيص المفتاح لابن مظفر الخلخالي

تمهيد

1-الحجاج بعلم المعاني

2-الحجاج بعلم البيان

3-الحجاج بعلم البديع

تمهيد:

الحجاج مفهوم متشعب المعنى لتشعبّ مجالاته واستعمالاته يستمد معناه من الحقل المعرفي والتّواصلي الذّي ينتمي إليه؛ من مرجعية خطابية محددة باعتباره شكلا من أشكال التّواصل اللّغوي يسعى المتكلّم من خلاله إلى التّأثير في السّامع للوصول إلى استمالة رأيه وتأييده، "وتبعا لذلك يصبح الحجاج – عمليا – بُعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللّغة المكتوبة والمنطوقة، كما أنّ له فعالية لسانية منطقية ضمن هذا الخطاب ،وبقدر ما تتباين أشكال ومضامين هذا الخطاب بقدر ما تختلف وتتباين فيه درجات الفعالية الحجاجية على مستوى البروز أو على مستوى الإضمار، وكذلك على مستوى الإنشاء والاشتغال، ولا غرابة – والحال هكذا – أنّ هناك حجاجا خطابيا (لسانيا) وحجاجا خطابيا (بلاغيا) وآخر فلسفيا (منطقيا) ..."[1] والذّي يعنينا في هذا البحث هو الحجاج اللّساني البلاغي وامتداد جذوره في تراثنا اللّغوي وبالتّحديد في كتاب " **مفتاح تلخيص المفتاح لابن مظفر الخلخالي** "، باعتباره مدونة تراثية بالغة الأهمية كونه ملخص لما جاء به السّكاكي في كتاب مفتاح العلوم، ولكن ابن مظفر الخلخالي قد أفاض فيه وعمّد إلى التّفصيل والتّدقيق وإماطة اللّثام عمّا جاء في مفتاح العلوم حيث يقول الخلخالي في مقدمة الكتاب:" ولم يكن له غير ما هو كالشّرح له من كتابه الإيضاح في هذا الفن إلى أن أشرح له شرحا وافيا يذلل من اللّفظ صعابه ويكشف عن وجه المعاني نقابه ويميط عن البيان لثامه، مشيرا فيه إلى أجوبة ما اعترض به مؤلفه فيه وفي كتابه الإيضاح عل صاحب المفتاح" [2]

[1] حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مرجع سابق، ص92.

[2] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص6.

الآليات البلاغية:

تعدّ بعض الظّواهر البلاغية آلية من آليات الحجاج لاعتمادها الاستمالة والتّأثير بالصّور البيانية والأساليب الجمالية والمحسنات البديعية، أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معًا حتى يتقبّل قضية ما وقد أشار **صابر الحباشة** لذلك بقوله:" الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، ومن هنا يتبيّن أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التّحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية."[1]

وفي ذلك تقول **سامية الدّريدي**: " لا شك في أنّ علاقة البلاغة بالحجاج إشكال مثير ومعقّد اهتم به القدامى قبل المحدثين – إذ ما يشغلنا تحديدا هو علاقة مختلف الأساليب البلاغية بحجاجية الخطاب – فالقدامى لم يخطئوا حين جمعوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوّناته الوجدانية والجمالية، لا مفرّ من البلاغة لأيّ حجاج دون أن يؤدي ذلك حتما إلى التّحريض."[2] معنى ذلك أنّ أهمية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفّره للخطاب من جمالية قادرة على تحريك مشاعر المتلقي والتّأثير فيه بالتّالي تمكّن المتكلّم من تحقيق غايته من هذا الخطاب؛ " أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال؛ فالجمال يرفد العملية الإقناعية وييسّر على المتكلّم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشّعورية والفعل فيها "[3]

وإذا كان الحجاج هو آلة المتكلّم في إقناع المتلقي وكسب تأييده وإفهامه فإنّ البلاغة "آلة أيضا وهي التّوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها ومتخيّرها، ورديئها وما يصلح في كلّ واحد من الكلام.[4] فعلاقة الحجاج والبلاغة تكمن في إدراك السّامع وإقناعه، وهذا ما يمنح الخطاب قوة وطاقة حجاجية بها يوجّه المتكلّم المتلقي؛ وذلك يتم من خلال الوسائل البلاغية " وما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي – فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه – أمكن للمتكلّم تحقيق غايته من الخطاب؛ أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما... و من ثمة توجيه سلوكه الوجهة التّي يريدها له"[5]

---

[1] صابر الحباشة، التّداولية والحجاج ، مرجع سابق، ص50.

[2] سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي القديم، مرجع سابق، ص120.

[3] المرجع نفسه، ص 120.

[4] حميد آدم ثويني، البلاغة العربية 'المفهوم والتّطبيق '، دار المناهج للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص12.

[5] ينظر: سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي القديم، مرجع سابق، ص120.

فالآليات البلاغية لها دور هام في قوة الخطاب الحجاجي وديناميته ، كما أنّها تؤثر بلا شك في المتلقي وفي عملية الإقناع الذّي هو صلب العملية الحجاجية، وما ينبغي تأكيده أيضا في هذا السّياق الدّور الحجاجي لألوان الزّخرف والزّينة والمحسنات البديعية التي تَرِدُ في الخطاب؛ حيث لها دور أساسي فيه لا يمكن إغفاله بأي حال من الأحوال.

وتنقسم الآليات البلاغية إلى عدّة أنواع منها: الصّور البيانية والمحسنات البديعية، وكذا الأساليب الخبرية والإنشائية إضافة إلى التّقديم والتّأخير و كذا الإيجاز والإطناب.

وسنحاول فيما يأتي البحث عن أهم الآليات البلاغية المتمثلة في علم المعاني وعلم البيان وكذا علم البديع والكشف عن وظيفتهم الحجاجية في مدونة بحثنا:

1- الحجاج بعلم المعاني:

علم المعاني هو أكثر علوم البلاغة ارتباطا بتقنيات الحجاج، لكن هذا لا يعني نفي الحجاج عن بقية علوم البلاغة الأخرى، وفي ذلك نستحضر حديث السّكاكي عن مهمة علم المعاني والتّي تتمثّل في "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره ."[1] فالحجاج يقتضي اختيارات دقيقة لوسائل الاستمالة والتّأثير التّي تحقق الغاية وفقا لظروف المقام ومقتضيات حال المتلقي وذلك انطلاقا من مقولة قيام علم المعاني على فكرة المقام وهي مقولة محورية في الخطاب الحجاجي، وسنحاول فيما يلي دراسة مجموعة من الأنماط التّركيبية " الإطناب والإيجاز وكذا التّقديم والتّأخير والوقوف على دورهما الحجاجي في مدونة بحثنا.

أ/حجاجية الإيجاز والإطناب:

إنّ الإيجاز والإطناب باب واسع له تعريفات عدة " إذ لم تكن كلمة العلماء البلاغة واحدة بشأن فضل الإيجاز والإطناب..."[2] يقول السّكاكي:" أمّا الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلّا بترك التّحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على مجرى عُرفهم في تأدية المعاني فيما بينهم وهو لا يحمد في باب البلاغة ولا يذم ..."[3]

---

[1] السّكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص435.

[2] علي عيسى العاكوب، علي سعد الشّتيوي، الكافي في علوم البلاغة، الجامعة المفتوحة، الاسكندرية، مصر، (د ط)، 1993، ص342.

[3] السّكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص276.

وقد ورد تعريف الإيجاز على لسان الخلخالي كالأتي:" فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط."[1] ومنه فالإيجاز هو تقليل الكلام دون الإخلال بالمعنى؛ فالإيجاز إذن أسلوب من الأساليب البلاغية التّي تعمد إلى تقليص الألفاظ في مقابل غزارة المعاني ممّا يجعل الكلام بليغا ، وقد مثّل الخلخالي لذلك بآيات كثيرة من الذّكر الحكيم نذكر منها على سبيل المثال **قوله تعالى: "هُدَى للمُتَّقِينَ " (البقرة / 3)** ، "أي هدى للظّالين الصّائرين إلى الهدى بعد الظلال "[2] ، **وقوله عزّ وجلّ: "خُذْ العَفْوَ وأْمُرْ بِالعُرْوفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ " (الأعراف / 199)** فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، وبهذا يكون "الإيجاز هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللّفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح..."[3] وقد قسّم البلاغيون الإيجاز إلى قسمين: إيجاز القصر وإيجاز الحذف، فأمّا إيجاز القصر فهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني يقول الخلخالي: "فهو إيجاز ليس بحذف كقوله تعالى:" **ولَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ " (البقرة / 179)** فإنّه لا حذف فيه مع أنّ معناه كثير يزيد عن لفظه "[4] فهذه الكلمات القليلة تحمل في طياتها معان كثيرة " لأنّ المراد به الإنسان إذا علم أنّه متى قَتَلَ قُتِلَ كان ذلك داعيا قويا إلى أن لا يقدم على القتل ، وفضل قوله تعالى على ما كان عند العرب أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم " القتل أنفى للقتل " من وجوه."[5]

أمّا الضّرب الثّاني وهو إيجاز الحذف: ويكون ذلك بحذف إحدى الوحدات اللّغوية في السّياق أو التّركيب اللّغوي يقول الخلخالي:" وهو إيجاز يكون بحذف، والمحذوف إمّا جزء جملة وإمّا أكثر من جملة "[6]

وقد مثّل لذلك بالعديد من الشّواهد من القرآن الكريم نذكر منها:

قوله تعالى: "**وأسْأَل القَرْيَة "(يوسف / 82)** أي أهلها.

وقوله عزّ وجلّ: "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُم المَيْتَة " (المائدة / 1)** أي تناولها حرام. "[7]

ولقد عرفت كلمة الإيجاز منذ القديم وكانت لها الأفضلية فهناك " الكثير من العبارات التّي ترفع من شأنه وتثني على من رزق حظا وافرا منه... "[8] وفي ذلك يقول الجاحظ: " تحدث العلماء عن الإيجاز كثيرا، وفي الغالب كانوا يقرنون ذكره بالبلاغة، فقد تكرر القول عندهم أنّ البلاغة إيجاز، وقالوا الإيجاز هو البلاغة، فتراهم لشدة إعجابهم

---

[1] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص437.
[2] المصدر نفسه، ص437.
[3] المصدر نفسه، ص438.
[4] المصدر نفسه، ص446.
[5] المصدر نفسه، ص446.
[6] المصدر نفسه، ص450.
[7] المصدر نفسه، ص450.
[8] فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، إربد، العراق، ط1، 1989، ص455.

بالكلام الموجز الوافي بالغرض وكلفهم به أن جعلوه عنوان البلاغة وحدّها في كثير من الأحيان نقلوا شواهد من أقوال الفصحاء في ذلك."[1]

وخلاصة القول أنّ الدّور الحجاجي للإيجاز يكمن في اتصاله بالبلاغة، فالكلام الموجز أكثر قوة وبلاغة من الكلام العادي؛ وبالتّالي أسرع وقوعا في النّفس وأشدّ تأثيرا على الذّهن، والإيجاز أسلوب يراعي حال النّفس، فالنّفس مجبولة على اختصار الكلام وعليه فحجاجية الإيجاز تكمن في جعل الكلام أكثر بلاغة وجمالا ورونقا، كونه طاردا للملل جاذبا للانتباه دافعا للشّرود والنّفور الذّي قد ينتاب المتلقي خلال عملية التّواصل.

وفي مقابل الإيجاز نجد الإطناب: وهو "أداء المقصود بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل كأجزائها ومتعلقاتها..."[2] ومنه فالإطناب هو الإطالة في الكلام لغرض الإثبات والمبالغة؛ وهو ما كان لفظه أكثر من معناه وذلك لغرض ما، وهو أسلوب بلاغي يمكن أن نعتبره نقيضا لأسلوب الإيجاز، فالأول يقوم على التّقليص والاختصار والثّاني على الإطالة وكمثال عن الإطناب ساق الخلخالي العديد من الأمثلة نذكر منها على سبيل التّمثيل " قول الشّاعر:

فقدّمت الأديم لراهشيه الزّباء وألفى قولها كذبا ومينا

فإنّ الكذب والمين واحد، والرّاهشان: عرقان في باطن الذّراعين يذكر الشّاعر الزّباء وغدرها جذيمة، وألفى أي وحد جذيمة قول الزّباء كذبا "[3]

"وقول الشّاعر:

ولا فضل فيها للشّجاعة والنّدى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فإنّ لفظة "النّدى " فيه حشو يفسد المعنى؛ لأنّ المعنى أنّه لا فضل في الدّنيا للشّجاعة والصّبر والنّدى لولا الموت وهذا الحكم صحيح في الشّجاعة وفي الصّبر دون النّدى لأنّ الشّجاع لو علم أنّه يخلد في الدّنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل "[4]

كانت هذه بعض المحطات التّي استوقفتنا وحاولنا من خلالها أن نوضّح بلاغة الإطناب، وخلاصة القول أنّ البعد الحجاجي للإطناب يكمن في بسط الكلام؛ فالإطناب يسعى إلى بلوغ غاية الإفهام لدى المتلقي بإتباعه منهج الشّرح والتّفصيل والتّوضيح كي يزيل اللّبس والغموض ويوصل الآراء والأفكار إلى السّامع بأسرع طريقة مما

---

[1] الجاحظ ، البيان والتّبيين، ج1، مرجع سابق، ص96.
[2] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص437.
[3] المصدر نفسه، ص442.
[4] المصدر نفسه، ص442- 443.

يسهم في إقناعه بيسر، وهو أسلوب معاكس للإيجاز؛ فالإيجاز يراعي حالة النّفس البشرية في شدتها وضيقها والإطناب يراعي حالة النّفي في ارتياحها ببسط الكلام، فاللّذة التّي يحدثها أسلوب الإطناب في نفس السّامع من خلال التّفصيح والإطالة في الشّرح وقيمته التّأثيرية تكمن في احتوائه عنصر التّشويق والإثارة، على عكس ما هو متداول في أنّ الإطالة تؤدي إلى الملل وتجعل المتكلّم يبدو سخيفا وكلامه متصنّع لكن هذا لا يمنع استدراج المتلقي والتّأثير فيه وإقناعه.

"وعموما البلاغة عند العرب الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل"[1]

ب – حجاجية التّقديم والتّأخير:

يُعد أسلوب التّقديم والتّأخير أحد الأساليب البلاغية التّي تدّل على فصاحة المتكلّم وإبداعه ومهارته في جذب انتباه السّامع وإقناعه بما يريد، وهو رافد مهم يُقوي حجّة البيان وفصاحة اللّسان، حيث يبين قوة مستخدمه وعلو فصاحته، فقد حظيّ بالدّراسة والاهتمام من قبل الكثير من البلاغيين منهم **عبد القاهر الجرجاني** الذّي نبه إلى فائدة التّقديم والتّأخير وذكرها في كتابه: "دلائل الإعجاز" قائلا: "هذا باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويضفي بك إلى لطيفه... فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء."[2] أمّا الخلخالي فلم يُشر في كتابه "مفتاح تلخيص المفتاح"[3] إلى تعريف مُجمل للتّقديم والتّأخير بل فصل فيه فبدأ ب:

تقديم المسند إليه: حيث قال في هذا الموضع: "وأمّا تقديم المسند إليه(فكون ذكر) المسند إليه أهم، وهو يقع بوجوه مختلفة:

إمّا لكون ذكره مقدما هو (الأصل ولا مقتضى للعدول) عن ذلك الأصل ككون المسند ممّا يجب له صدور الكلام.

وإما ليتمكن الخبر في ذهن السّامع إذا ورد لأنّ في المبتدأ تشويقا للسّامع إلى الخبر حيث مثّل الخلخالي لذلك بقول أبي العلاء المعري:[4]

والذّي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمادِ.

---

[1] سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي القديم، مرجع سابق، ص119.
[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، ص106.
[3] ابن مظفر الخلخالي، مصدر سابق، ص169.
[4] المصدر نفسه، ص170.

فالمسند إليه الاسم الموصول، وهو(الذّي)، والجملة(حارت البرية فيه) صلة له، والموصول والصّلة متلازمان، كما أنّ المخاطب هنا متشوق لمعرفة الخبر أي المسند ذلك لأن في المسند إليه غرابة.

وإما لتعجيل المسرة أو المساءة [1] بالسّامع لكونه صالحا (للتّفاؤل، أو التّطير) نحو: "**جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**" (الرعد/ 23)

ونحو: السّجن عشرون عاما لقاتل الطّفلة.

وأمّا لإيهام أنّ المسند إليه لا يزول عن الخاطر نحو: ليلى يسر القلب ذكراها.

. وإمّا لأنّه يفيد زيادة تخصيص، أي لأنّ تقديم المسند إليه يفيد زيادة تخصيص للمسند به دون تأخيره عنه وأعطى الخلخالي مثالا بقول النّابغة الجعدي:

مَتَى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفًا في عواتقهم سيوف

جُلوس في مجالسهم رزان وإن صَيْفٌ أَلَمَّ فهم خفوف

فتم تقديم (هم) على خفوف وذلك يقتضي زيادة تخصيص الخفة ببني قطن، بالنّسبة إلى الضّيف الملم بهم.

ذكر الخلخالي فيما يخص تقديم المسند إليه [إفادة التّقديم التّخصيص عند عبد القاهر الجرجاني][2] حيث يقول هذا الأخير: "وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولى المسند إليه حرف النفي سواء كان مضمرا أو مظهرًا معرفًا أو منكرًا "

نحو: ما أنا قلت هذا، وما أنا غشت في الامتحان.

يعني أنّ المسند إليه وقع بعد النفي، وجاء الخبر فعلاً. وأنّه أراد أمرين مما سبق وهما:

الأول نفي القول في المثال الأول، ونفي الغش عن نفسه في المثال(2)

الثّاني: إثبات الفعل لغيره

ويكون المسند إليه معرفة أو لا، فإن كان معرفة سواء كان مضمرًا أو مظهرًا فهو على قسمين[3]:

أحدهما: ما يفيد تخصيصه بالمسند (للرد على من زعم انفراد غير) المسند إليه بالمسند أو مشاركة غير المسند إليه مع المسند إليه في المسند. نحو: أنا سعيت في حاجتك، تريد دعوى الانفراد بالسّعي.

وثانيهما: ملا يفيد إلا (تقوى الحكم) وتقرره في ذهن السّامع. نحو هو يعطي الجزيل أي العطاء العظيم.

ومنه نستنتج أنّه إذا كان المسند فعلا، فإنّ تقديم المسند إليه يفيد التّخصيص قطعًا.

---

[1] المصدر السّابق، ص170.

[2] المصدر نفسه، ص175.

[3] المصدر نفسه، ص177.

أمّا فيما يخص **إفادة التّقديم للعموم** فقد قال الخلخالي[1] نقلا عن ابن مالك:

" ويُقدم المسند إليه على المسند لأنه(دال على العموم) " نحو: كل النّاجحون لم يأخذوا جوائزهم.

فهنا قد أثبت الحكم لجميع الأفراد دون استثناء.

2. تقديم المسند:

وأمّا تقديم المسند على المسند إليه [2]

فإمّا لتخصيصه بالمسند إليه نحو قوله تعالى: "**لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ" (الصافات/ 47)**

وهو هنا قدّم المسند ، وهو(فيها)، وآخر المسند إليه وهو(غول)، كما أنّه قدم المسند هنا للتّخصيص، ومعناها نفي للغول عن خمرة الآخرة، وإثباته في خمر الدّنيا.

وإمّا للتّنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت. نحو قوله:

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبارِها وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

هنا قدّم "له" على "همم" لما ذكر.

وإمّا للتّشويق إلى ذكر المسند إليه [3]كقوله:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالقَمَر

فقدّم المسند (ثلاثة)، وتشرق الدّنيا صفة لها، والمسند إليه (شمس الضحى).

إنّ البعد الحجاجي الذّي يكمُن وراء وجود التّقديم والتّأخير في الكلام؛ هو تحقيق أغراض حجاجية والتّي تكون نتيجة لأغراض جمالية وذلك بإضفاء رونق أو مسحة جمالية على الكلام، و لإحتوائها على عنصر الإمتاع، وكما أنّ التّركيب يكون أبلغ، شأنه شأن المحسنات البيانية ؛كالتّشبيه، والاستعارة، وأمّا الأغراض الموسيقية ذلك بإحداثها الايقاع والجرس الموسيقي، فينتج عنه طاقة حجاجية تدعم الخطاب بالقيم البرهانية والإقناعية.

[1] المصدر السّابق، ص194.
[2] المصدر نفسه، ص286.
[3] المصدر نفسه، ص287.

2-الحجاج بعلم البيان:

باعتبار أنّ البلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: وعلم البيان من ضمن أقسامها المهمة، "فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه."[1]

ويحتوي البيان على صور بيانية وفي مقدمتها التّشبيه:

أ/ حجاجية التّشبيه / التّمثيل:

يكون التّشبيه أبلغ إذا وفق المتكلّم في اختيار صوره وفقا لطبيعة المقام يقول: **حافظ اسماعيلي علوي**:" والتّشبيه هو عقد الصّلة بين صورتين، ليتمكن المخاطب من الاحتجاج وبيان حججه."[2]

وبعد تصفحنا "لكتاب مفتاح تلخيص المفتاح " وجدنا إشارات ذات مفاهيم حجاجية بالأساس بدأ بالتّعريف الذي قدمه الخلخالي للتّشبيه قائلا: "التّشبيه الدّلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى."[3]

وهو بتعريفه هذا يوضح السّبب في تأثير التّمثيل على النّفوس؛ لأنّ هذه الأخيرة تتأثر وتأنس لما هو واضح وجلي ومحسوس، وخصوصا إذا رُبِطت فكرة مبهمة بشيء واضح و معروف لديها، وقد تطرق الجرجاني إلى ذلك بقوله:" مواقع التّمثيل وتأثيره ممّا اتفق العقلاء عليه، أنّ التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته كساها أبهة...فإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر."[4]

ومنه فالتّمثيل يعين المتكلّم على بيان الحال ويسهل وييسر عليه سبل الإقناع والتّأثير إلى ما يصوّر إليه. ولأنّ التّشبيه يتصدر كل الصّور البلاغية، باعتبار أنّ معظم كلام العرب تشبيه واتفقوا على أنّه يقرب بين الأشياء المتباعدة من وجه واحد أو من وجوه يقول "الخلخالي": "التّشبيه وصف الشّيء بمشاركة لآخر في معنى أو إلحاق الشّيء بشيء آخر في معنى أو الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى."[5]

وأمثلة ذلك: بعض ما أورده الخلخالي من أمثلة وهي:"

---

[1] المصدر نفسه، ص489.

[2] حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 1، مرجع سابق، ص139.

[3] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص493.

[4] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط 1، 1991، ص118-119.

[5] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح ، مصدر سابق، ص493.

وكَأَنَّ محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نُشِرَنَّ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ

فقد شبه الشّفيق بأعلام ياقوت منتشرة أو مبسوطة على رماح من زبرجد، حيث يلاحظ هاهنا أنّ أفراد المشبه به من العلم والياقوت والرّماح والزّبرجد كلّها حِسية."[1]

وقوله تعالى: "**طَلْعُهَا كَأَنَّه رُؤوس الشّياطِينِ "(الصّافات/ 65)**

"حيث شبه طلع شجرة الزّقوم برُؤوس الشّياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر، ولأنّ الشّيطان مكروه مستقبح في طباع النّاس لاعتقادهم أنّه شر محظ لا يخلطه خير يقولون في قبيح الصّورة كأنّه وجه الشّيطان، ولا يخفى على أحد ما لهذه الصّورة من تأثير بليغ"[2]، فالمتكلم هنا اهتدي إلى التّعبير بالتّصوير والتّمثيل مستهدفًا عقل المخاطَب بغية إيصال المعنى الذّي يريد، وبهذا يكون المعنى أقرب إلى القبول وأدعى إلى التّأثير عندما يكون مصحوبا بالدّليل وفي هذا المقام أورد "الخلخالي " الكثير من الأمثلة لإثبات وجهة نظره بغية التّأثير في المتلقي.[3]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ والظّلامُ كَأَنَه يَوْمَ النّوى وفُؤَاد مِنْ لَمْ يَعْشَقِ

فإنّه لما كان أيام المكارة توصف بالسّواد توسعا فيقال: أسود النّهار في عيني، وأظلمت الدّنيا عليّ، وفي هذا المثال جعل يوم النّوى كأنه أعرف وأشهر بالسّواد من الظّلام، ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق تظرفا، لأنّ الظّريف يدّعي القسوة على من لم يعشق، والقلب القاسي يوصف بشدة السّواد، فصار القلب عنده أصلا في القسوة والسّواد فشبه الظّلام بيوم النّوى والقلب المذكور."[4]

وقول آخر:[5]

كَأَنَّ انتضاء البَدْرِ تَحْتَ غَيْمَة نَجَاء مِنْ البَأْسَاءِ بَعد وُقوع

فقد شبه الخلاص والخروج من الشّدة بعد الوقوع في البأساء كخروج البدر من تحت الغيوم.

---

[1] المصدر السّابق، ص502.
[2] المصدر نفسه، ص502.
[3] المصدر نفسه، ص502.
[4] المصدر نفسه، ص502.
[5] المصدر نفسه، ص502.

يقوم التّشبيه على أربعة أركان وهي: المشبه، والمشبه به، والأداة ووجه الشبه، حيث تؤثر الأداة على المعنى، وقد جاء في مدونة بحثنا قول الخلخالي: "وأمّا النّظر في أركان التّشبيه فقد علم أنّها أربعة، طرفاه -أعني المشبه والمشبه به- ووجه الشّبه وأداة التّشبيه..."[1]

حيث تؤثر الأداة على المعنى، فالتّشبيه الذي تذكر فيه الأداة يختلف عن التّشبيه الذي تحذف منه الأداة، وقد حاول "الخلخالي " بيان الفرق بينهما بتفسير قوله تعالى:

"وَاضْرُبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوه الرِّيَاحْ " (الكهف / 45)

ها هنا ليس المراد تشبيه حال الدّنيا بالماء بل المراد تشبيه حالها في نظرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والغناء بحال النّبات الذي يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الرّياح كأن لم يكن."[2]

وقوله عزّ وجلّ:" **لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ "(فصلت / 28)**

إذ ليس المعنى تشبيه جهنم بدار الخلد، إذ هي نفسها دار الخلد.

ومنه فحذف الأداة يؤدي إلى تقوية الصّلة بين طرفي التّشبيه إذ يصبح المشبه متقاربا مع المشبه به وكأنّهما شيء واحد، وبذلك فحذف الأداة يزيد التّقارب بين الطّرفين؛ فيصل التّشبيه بذلك إلى مستوى من القوة ويصبح أكثر بلاغة على عكس ذكر الأداة الذّي ينتج عنه تباعد بين طرفي التّشبيه؛ وبالتّالي ضعف قوة التّشبيه وضعف بعده الحجاجي، مثلا في الأحاديث اليومية الغبي يستحسن أن نوظّف له الأداة تقريبا للفهم والإقناع عكس الذّكي كون الأول بطيء الاستيعاب مقارنة بالثّاني.

يضاف إلى ذلك أنّ التّشبيهات ليست على درجة واحدة أو مستوى واحد في تصنيفها من حيث قوة التّصوير والمبالغة إذ تتفاوت التّشبيهات فيما بينها بالنّظر إلى هذه النّاحية، أي المبالغة ودرجة التّخييل، والتّي لها علاقة بالبنية التّركيبية للتّشبيه، وما ينطوي عليه من أجزاء تحذف على صعيد التّعبير... ؛ وفي ذلك يقول "الخلخالي ": "والحاصل من مراتب التّشبيه في القوة والضّعف، باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها وهي ثمان:

إحداها: ذكر الأربعة كقولك: زيد كالأسد في الشّجاعة.

---

[1] المصدر السّابق، ص510.

[2] ينظر: الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص288.

وثانيتها: ترك المشبه كقولك: كالأسد في الشّجاعة، أي زيد.

وثالثتها: ترك كلمة التّشبيه كقولك: زيد أسد في الشّجاعة.

ورابعتها: ترك المشبه وكلمة التّشبيه كقولك: أسد في الشّجاعة، أي زيد.

وخامستها: ترك وجه التّشبيه كقولك: زيد كالأسد.

وسادستها: ترك المشبه ووجه الشّبه كقولك: كالأسد، أي زيد.

وسابعتها: ترك كلمة التّشبيه ووجهه كقولك: زيد أسد.

وثامنتها: إفراد المشبه به في الذّكر كقولك: أسد، أي زيد.

واعلم أنّ القوة إمّا بعموم الشّبه، بأن لم يذكر وجهه، أو للحكم على المشبه بأنّه المشبه به مبالغة، فما اجتمع الأمران فيه فهو أقوى الكل فالثّامنة والسّابعة أقوى الكل لاشتمالهما على القوتين."[1]

استخدم "الخلخالي "في كتابه التّشبيه بكثرة لتقريب كلامه إلى القارئ وتقديمه له في أبسط وأحسن صورة لكي يفهمه ويقتنع به، فالاستعانة بالتّشبيه والتّمثيل تعدّ تقنية لها فاعلية قوية في محاولة الإقناع، وذلك عن طريق إثارة المتلقي أو لا ثمّ تشغيل فكره بالبحث عن العلاقة الجامعة بين طرفي التّشبيه، المشبه والمشبه به، وللإشارة والتّوضيح أكثر يمكن القول أنّ البعد الحجاجي للتّشبيه يتجلى بصورة واضحة جدًا في حديثه عن أعراض التّشبيه التّي تتضمن طابعا حجاجيا مثل إمكان المشبه وبيان مقداره... حيث يقول في ذلك:" الغرض من التّشبيه كأن يكون المشبه به أعرف بوجه المشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشّبه أو بيان مقداره..."[2]

فنحن غالبا عندما ننشئ تشبيها فإنّ الغرض منه يكون الاهتمام بالمعنى الذّي يشتمل عليه المشبه والمشبه به، والحجاج بآلية التّشبيه كثير في المدونة، وقد كانت صوره مستمدة من مخزون حجاجي واسع ومتنوع يدّل على تنوع البيئة الطّبيعية والاجتماعية والثّقافية لابن مظفر الخلخالي.

وكخلاصة لما تمّ تقديمه يمكن القول أنّ "الخلخالي " قد استعمل أسلوب التّشبيه كآلية حجاجية، مراعيا في ذلك عنصر الإقناع بأسلوب جميل يمّس العقل والمشاعر. حيث يعتمد التّشبيه على الاستدلال والانتقال بالمعنى من العالم الخارجي إلى العالم الذّهبي الدّاخلي للمتلقي ليقوم العقل بذلك تّشبيه بمهمة القياس والاستنباط، حيث

[1] ينظر: ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص مفتاح ، مصدر سابق، ص552- 553.

[2] المصدر نفسه، ص550.

تقوم هذه التّشبيهات مقام الأدلة والبراهين، "وفي سياق حديث **أبو هلال العسكري** عن أجود التّشبيه ذكر أربعة شروط ترقى بالتّشبيه إلى مرتبة الحجة وهي: إخراج ملا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه كقوله تعالى:" و**الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً**" (**النّور/ 39**)، أو إخراج ما لم تجرِ به العادة كقوله تعالى:" **وإِذْ نَطَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أنّهُ وَاقِعٌ بِهِم**" (**الأعراف/ 171**)، أو إخراج ما لا يُعرف بالبديهة إلى ما يُعرف بها كقوله تعالى:" **وَسَارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**" (**آل عمران/ 133**)، وآخرها إخراج ما لا قوة له في الصّفة على ما له قوة فيها كقوله تعالى:" **وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**" (**الرّحمان/ 24**)[1]

ب / حجاجية الاستعارة:

قد يقف التّعريف التّقليدي المتوارث عليه للاستعارة عائقا دون تمثيل أبعادها من الكلام حجاجيا، لأنّ المستقر في أذهان أكثر المتعاملين مع اللّغة العربية أنّ الاستعارة تدل على معنى مجازي بعيد عن تحقيق غايات أخرى، لكّن المتعارف عليه أنّ الاستعارة من أكثر الآليات خدمة للحجاج نظرا لأنّها ادعاء تحول جنس المستعار له في جنس المستعار منه يقول " **حافظ اسماعيلي علوي**": " يتجلّى البعد التّداولي للاستعارة في أنّها عملية ذهنية قوامها التّقريب بين موضوعين من أجل التّأثير والإقناع، انطلاقا من إثارة انتباه المتلقي إلى ما تحققه من غرابة وانحراف عن العادي والمألوف فالاستعارة حجاجيا راجعة إلى أصل واحد أن يعدل عن (ب) التّي هي معلومة جديدة إلى (أ)، والتي هي معلومة قديمة إذا كانت (ب) تمثّل إجمالا حكما هو موضوع اعتراض بطريقة أو بأخرى."[2]

ويمكن التّمثيل لذلك بالشّكل الآتي:

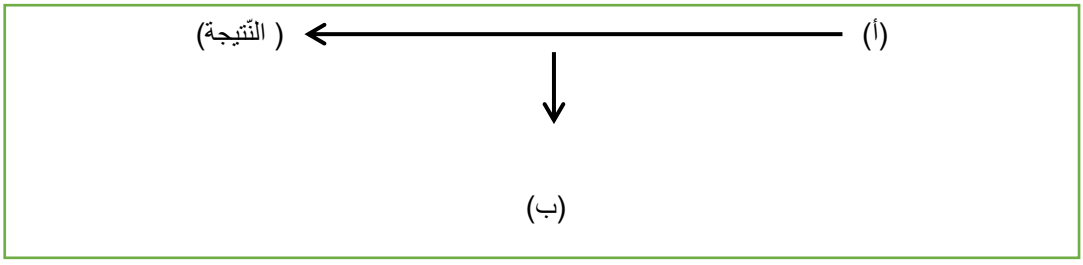

[1] الطّيب رزقي، البنية الحجاجية في كتاب "اللّؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشّيخان"، أطروحة دكتوراه، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2017، ص 111.

[2] حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 1، مرجع سابق، ص41.

وبالعودة إلى تراثنا نجد إشارات واضحة ودالة على حضور القول الاستعاري ووظيفته الحجاجية في كتاب 'مفتاح تلخيص المفتاح' من ذلك ما قاله "الخلخالي ": "والاستعارة قد تفيد بالتّحقيقية لتلحق معناها حسا أو عقلا."[1] كقولك: لدى أسد شاكي السلاح مقذف... (أي رجل شجاع).

وقوله تعالى:" اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المسْتَقِيم "، أي دين الحق

ممّا لا شك فيه أنّ الاستعارة هي تعبير عن المعنى بأكثر من لفظ أو تركيب مثال ذلك قوله تعالى: " **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوع والخوف** " **(النّحل / 112)**

"فهذه الآية تحمل معنيين: الأول يحتمل أن يستعار اللّباس لما الإنسان والتبس به من بعض الحوادث ثم يطلق اللّباس ويراد به ذلك، والثّاني أن يستعار اللّباس لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللّون ورثاثة الهيئة."[2]

" فالاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له والأكثر أنّ الاستعارة تطلق ولا تقيّد بشيء "كقوله:

لَدَى أَسَد شَاكِي السّلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

أي رجل شجاع حيث يقال: رجل شاكي السّلاح إذا كان ذا شوكة [3] وجد في سلاحه، ورجل مقذف أي: كثير اللّحم كأنه قذف باللّحم ، واللّبد جمع لبدة وهي الشّعر المتراكب بين كتفيه، والقلم: الظّفر.

وفي قوله:"

فَإِن تَعَافُوا العدل والإيمانا فَإِنَّ فِي أَيْمَانِنَا نيرانا

أي سيوفا تلمع كأنّها شعل نيران، وفي قوله، فإن تعافوا العدل: أي فإن تكرهوا باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل، وتعلقه بالإيمان قرينة لإرادة السّيوف لدلالته على أنّ جوابه أنّهم يحاربون ويقسرون على الطّاعة بالسّيف، وقد تكون قرينتها معان ملتئمة بعضها مع بعض كقوله:

---

[1] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح ، مصدر سابق، ص541.

[2] المصدر نفسه، 542.

[3] شوكة: المراد بمعناه المعنى المجازي، وهو مدلول المشبه

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصَلة تنكفي بها عَلَى أرؤس الأقران خمس سحائب

فقوله تنكفي، أي يرجع بها، وخمس سحائب أنامل الممدوح، فذكر أنّ هناك صاعقة ثم قال: من نصله فيبين بذلك أنّها من نصل سيفه ثم قال: على أرؤس الأقران ثم قال: خمس فذكر عدد أصابع اليد وبذلك يكون غرضه هو تشبيه أنامل الممدوح بالسّحائب على الوجه المذكور"[1]. وفي ذلك يقول: "**أبو هلال العسكري**": "إنّ الاستعارة نقل العبارة من موضوع استعمالها في اللّغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض أن يكون شرح المعنى أو فضل الإبانة عنه أو تأييده والمبالغة فيه، أو الإثارة إليه بالقليل من اللّفظ أو تحسين المعرض الذّي يبرز فيه."[2]

ومنه فالاستعارة ليست مجرد زينة لفظية أو محسن بديعي، بل هي مكون بنيوي للمعنى، وفوق ذلك لها القدرة على أن تجعل هذا المعنى أكثر حيوية، كما لها خاصية انفعالية تلازم القول الاستعاري. وبذلك يكون البعد الحجاجي للاستعارة فيما تحققه وتضفيه من غرابة على الكلام، ممّا يستميل المتلقي ويشد تفكيره الأمر الذي يحقق إقناعه. وكثيرا ما أتحف الخلخالي خطابه باستعارات أضفت عليه رونقا وزادته جمالا، وذلك لكونها أبلغ من الكلام العادي.

ممّا سبق يمكن القول أنّ الأبنية الاستعارية آلية بلاغية أقوى حجاجيا من الأقوال العادية يقول: "**عبد الهادي بن ظافر الشهري**": " هي وسيلة هامة من وسائل التّأثير والحجاج، لما لها من قدرة في التّصوير... فهي تعدّ من أبلغ الصّور وأقوى الآليات البلاغية حجاجيا."[3] ، يدّلنا هذا الكلام على أنّ الاستعارة من أحسن وسائل التّبليغ وذلك بالنّظر إلى الطّاقة الحجاجية التي توفرها للمتكلّم من أجل التّأثير في المتلقي، فالاستعارة لا يقصد بها مجرد نقل لفظ عمّا وضع له، بل المقصود منها المبالغة في الوصف، وتحصل المبالغة بادعاء المتكلّم المعنى. فالاستعارة تجعل اللّفظ حي الأنفاس ممتد الأثر، وإن تغيّر الزّمان والمكان، إذا تعتبر من أهم الاستراتيجيات الخطابية في مخاطبة المتلقي (حيث للاستعارة تأثير وجداني كبير له أثر في العملية الحجاجية).

ج/ حجاجية الكناية:

تعدّ الكناية من وسائل الحجاج الفعالة التّي تعمل على التّأثير في الآخر وإقناعه، كما أنّها تُلَمِح للمعنى دون تصريح، وتثبت الأدلة بالشّواهد العينية لإفهام المتلقي، وتسهم في تعميق الفكرة، وتضفي على المعنى جمالا ورونقا مؤثرا، والقوة الحجاجية للأسلوب الكنائي لا تأتي بحسب الخطاب المجازي المحاجج به ومن ثمة تترتب عليه

---

[1] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص578-579.

[2] أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين، مرجع سابق، ص274.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص496.

تفاوت في درجة الإقناع وتحريك آلية الفهم والتّأويل لدى المتلقي، يقول "الخلخالي": " الكناية تتفاوت على تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة."[1] وعرّفها **الجرجاني** بقوله: " والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللّغة ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه ورفده في الوجود، فيؤمن به إليه ويجعله دليلا عليه."[2]

يقول الخلخالي:" الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه... "[3]

وقد ساق كمثال لذلك(فلان طويل النّجاد) أي طويل القامة وقد أراد في هذا معنى ولكنه لم يذكره بلفظه الخاص به، ولكنه توصل إليه بذكر معنى آخر فطول النّجاد يستلزم طول القامة، ومن ذلك قول الخنساء ترثي أخاها:

طَوِيل النِّجاد رَفِيعَ العِمَاد كَثِيرَ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَى

فإذا عدّنا إلى كلّ الأمثلة التّي أوردها الخلخالي في موضوع الكناية فإنّنا نلحظ اهتمامه بالجانب الاستدلالي، وهو ما لمسناه في تحليلنا للأمثلة السّابقة والتّي يتم في معظمها الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني المقصود، فالكناية قائمة على إثبات صفة أو معنى من المعاني " وهي ثلاثة أقسام: الأولى: المطلوب بها غير صفة ولا نسبة [...] والثالثة: المطلوب بها نسبته [...] "[4] فالكناية أقسام: كناية عن صفة كناية عن موصوف، كناية عن نسبة، وفي الأنواع الثلاثة يتم الانتقال من المعنى الظّاهر الذي يدل عليه اللّفظ إلى معنى مضمر يفهم منه وهذا ما أورده الخلخالي في المثال الآتي:

كقولهم:" كثير الرّماد كناية عن المضياف "،فإنّه ينتقل من كثرة الرّماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ومنها إلى كثرة الطّبائخ ومنها إلى كثرة الأكلة ومنها إلى كثرة الضّيفان ومنها إلى المقصود.

وفيما يستخلص من تعليق الخلخالي على الصّورة الكنائية (كثير الرّماد) أنه يشتمل على سلسلة من الأقوال ورد تتابعها في شكل متنامٍ تدريجي ويمكن عدها حججا وأدلة تؤدي في مجملها إلى نتيجة ممثلة في لفظة (الضيفان) ولكن أثناء التّلفظ بالقول: فلان كثير الرّماد، نكون قد أخرنا سلسلة من الجمل والخطابات (كثرة إحراق الحطب، كثرة الطّبخ ...) وخلال ذلك نكون قد قمنا باستدراج المتلقي وإثارته وتحفيز عقله وفكره كي يفهم المقصود العام وهو أنّ هذا الشّخص يتميز بالكرم والجود، وبذلك تكون هذه الصّورة البلاغية قد أدّت

---

[1] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص634.

[2] الجرجاني ، دلائل الاعجاز، تح: محمد التنجي ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005 ، ص59-60.

[3] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح ، مصدر سابق، ص627.

[4] المصدر نفسه، ص628.

حجاجية خالصة، وحققت الفهم والإفهام، والمسار الحجاجي الذّي يمكن أن نحلل به هذا الشّاهد يمكن توضيحه بالخطاطة الآتية:

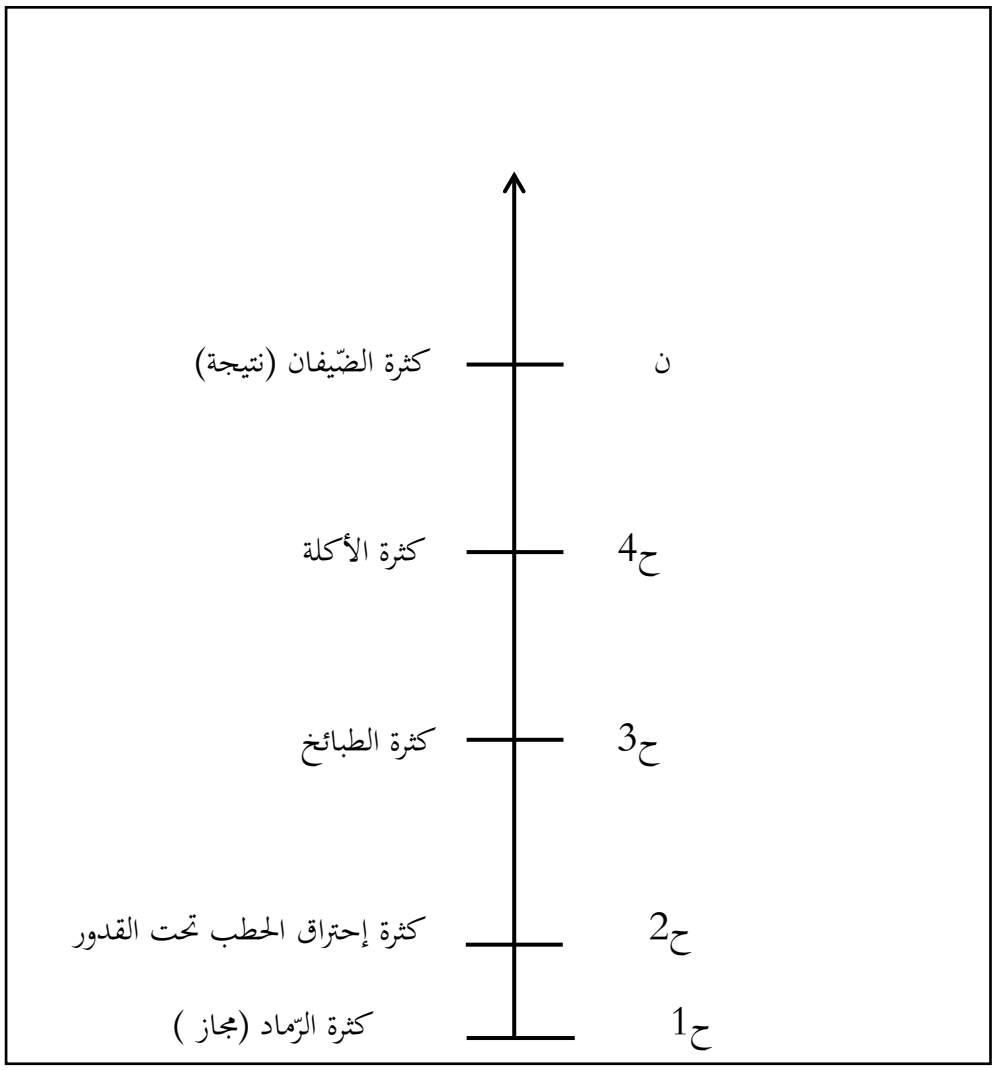

وقد أورد الخلخالي أمثلة كثيرة منها:

كقولهم في الكناية عن الأبله: عريض القفا، وذلك أن عرض القفا وعظم الرّأس إذا فرط يقال: دليل الغباوة.

وقوله تعالى:" **الرَّحْمَانُ عَلَى العَرْشِ اِسْتَوَى** " **(طه / 05)**، وهي كناية عن المُلْك.

وبناء عليه يمكن توضيح ذلك كما يلي:

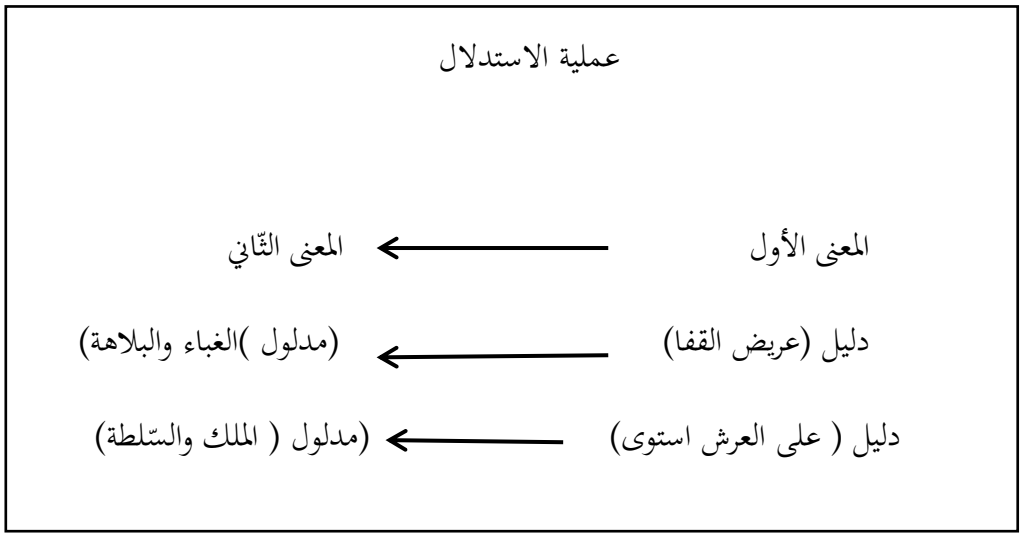

وهذه العملية الاستدلالية يفهم من خلالها المعنى المقصود مرتبطة بالتّأويل، أي تأويل المتلقي بواسطة مرجعيات واستلزامات عقلية توصله إلى المعنى المراد.

ومنها تبرز حجاجية الكناية التّي عدّها "الخلخالي " أبلغ من التّصريح، وأن لها وقعا على النّفس ومزية لا تقل عن الصّور البيانية الأخرى يقول:" أطبق البلغاء على أنّ المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتّصريح لأنّ الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللّازم، فهو كدعوى الشّيء ببينه."[1] وبذلك يتبيّن لنا أنّه انحياز صريح إلى الجانب الحجاجي والإقناعي الكامن في الصّورة الكنائية.

حيث تكمن حجاجية "البعد الحجاجي" للكناية في الرّمز الذّي ينشؤه المتكلّم بهدف التّأثير في المتلقي، وعلى قدر استجابة هذا الأخير تبرز القيمة الحجاجي والقدرة الإقناعية للقول الكنائي لأنّه يؤتى بها كدليل قوي على صد المتكلّم في إثبات المعاني والصّفات والتّأكيد عليها، وفي ذلك يقول **القزويني**:" فأفاد إثبات الصّفات المذكورة له بطريق الكناية." [2]

[1] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص637.

[2] القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص336.

ج- الحجاج بعلم البديع:

إنَّ الوظيفة الأساسية التّي يضطلع بها علم البديع هي تزيين اللّفظ و تجميله، وكذا تقوية المعنى وإيضاحه، يقول الخلخالي في ذلك: "هو علم يُعرفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدّلالة."[1]

فالمتكلّم عند إلقائه لخطاب ما فيكون قد حسّنه وجمله وراعى فيه أحوال المخاطبين وتوخى فيه وضوح الدّلالة وذلك لاستهداف عقولهم وأيضا مشاعرهم وهنا تكمن القيمة الحجاجية لهذا العلم.

وقد أكّد أغلبية الباحثين أنّ المحسنات البديعية يمكن لها أنّ تؤدي وظيفة حجاجية وفي هذا الشّأن يقول **صابر الحباشة:**" إنّ مُحسِنًا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النّظر، يبدوا معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك... فإنّ المحَسِّن سيتم إدراكه باعتبار زخرفة، أي باعتباره مُحَسِن أسلوب ويكون ذلك إلى تقصيره على أداء دور الإقناع "[2]

ومنه نستنتج أنّ القيمة الجمالية في البديع تَكْمُنُ في المعنى والأسلوب معًا، فكلاهما وسيلة من وسائل التّواصل والإبلاغ.

وقد ذكر" الخلخالي" في كتابه "مفتاح تلخيص المفتاح [3]أنّ البديع ينقسم إلى قسمين بديع معنوي وبديع لفظي؛ فأمّا المعنوي فمِنه المطابقة، وتسمى الطّباق والتّضاد أيضا، وهي الجمع بين متضادين [...]، وأمّا اللّفظي فمنه الجناس بين اللّفظين."

فمِن بين المحسنات البديعية التّي سندرسها ونبيّن دورها في الإقناع هي كالآتي:

أ/ المحسنات المعنوية:

1. الطّباق:

يعدّ الطّباق من المحسنات البديعية:" التّي تزيد الكلام حُسْنًا وطَلَاوةً، وتَكْسُوه بَهاءً ورونقًا."[4] يقول الخلخالي [5] "الطّباق هو الجمع بين متضادين أو بين اللّفظين المفردين والمركبين الدّالين على معنيين متقابلين " وقد مثل على ذلك بقول الحماسي:

تَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُوء إِحْسَانًا

---

[1] المصدر السّابق، ص 638.

[2] صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مرجع سابق، ص51.

[3] ابن مظفر الخلخالي ، مفتاح تلخيص المفتاح ، مصدر سابق، ص 638-701.

[4] السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، مرجع سابق، ص298.

[5] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص639.

وفي هذا البيت قابل الإساءة بالإحسان، وهي حقيقة، وقابل الظّلم بالمغفرة وهي غير حقيقية، بل مقابله الحقيقي العدل وفي ذلك طلاق.

ويذكر **فضل حسن عبّاس** في تعريفه للطّباق أنّه " الجمع بين الشّيء ومقابله أو الشّيء وضدّه، ويكون الشّيئان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين."[1]

ويمكن لنا أن نعزز هذا الكلام بما جاء به الخلخالي: "والمطابقة تكون بلفظين إمّا من نوع واحد أو من نوعين."[2]

وما من نوع واحد فمثاله في اسمين كلفظي إيقاظ ورقود في قوله تعالى: "**وَتَحْسِبُهُم أَيْقَاظًا وهُمْ رُقُودٌ** «(**الكهف / 18**)

ومثله في الفعلين نحو قوله تعالى: "**يُحْيِي ويُمِيتُ** " (**البقرة / 258**)

وفي حرفين قوله تعالى: "**ولَهُنَّ مِثْلُ الذّي عَلَيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** "(**البقرة / 128**)

وما من نوعين في قوله تعالى: "**أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** " (**الأنعام / 122**)

أي: ضالًا فهديناه، الأول اسم والثاني فعل.

وممّا أورد الخلخالي[3]:أنّ الطّباق ضربان: طباق الإيجاب وطباق السّلب، فأمّا طباق الإيجاب فقد مرّ، وأمّا طباق السّلب فكقوله تعالى: "**وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا(7)**" (**الرّوم/6-7**)

وهناك طباق يسمّى تدبيجًا، وهو مشتق من الدِّيباج، وهو نوع ممتاز من أنواع الحري، فكأنهم يُشيرون بهذه التَّسْمية إلى موقعه العظيم، ورونقه البديع في الكلام."[4] ويذكر 'الخلخالي'توضيحا لمعنى التّدبيج[5] أنّه يذكر في معنى من المدح أو غيره من ألوان القصد، الكناية، أو التّورية، أمّا الأول فكقول أبي تمام:

تَرْتَدِي ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللّيْل إلا وَهِيَ مِنْ سُنْدَسٍ خُضرٍ

فهو هنا قد كنى عن دخول الجنة.

---

[1] فضل حسن عبّاس، أساليب البيان، مرجع سابق، ص 363.

[2] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص640.

[3] المصدر نفسه، ص 641.

[4] بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص48.

[5] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص641.

فأمّا الثّاني فمثّل "الخلخالي" عليه بقول **الحريري**: اغبر المحبوب الأصفر، وأزور العيش الأخضر، أسود يومي الأبيض وأبيض فودى الأسود ،حتى رثى لي العدو الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر." [1]وقد شرح هذا بقوله أنّ لفظ الأصفر تورية يريد بها الذهب الأحمر.

وممّا سبق نَخْلُصُ إلى أنّ البعد الحجاجي للطّباق يكمن في تزيين الكلام وزخرفته قصد إيصاله بيسر إلى المتلقي فيؤثر فيه؛ وبالتّالي إقناعه بما يعرض عليه من قضايا و آراء، كما أنّه يزيد المعنى قوة ووضوحًا وتوكيدًا فمن المأثور عن العرب قولهم: " الأشياء بالأضداد تتضح" فعملية الفهم قد تكون بذكر الضّد.

2. المقابلة:

فهي كما عرّفها أبو هلال العسكري: " إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللّفظ على جهة الموافقة أو المخالفة "[2]

أمّا الخلخالي فقد ذكر في هذا الشّأن أنّ المقابلة [3]" هي أنّ يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على التّرتيب ،والمراد بالتّوافق خلاف التّقابل"، والمقابلة هي كالآتي:

. مقابلة اثنين باثنين كما جاء في قوله عزّ وجلّ: "**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا" (التّوبة / 82)**

. مقابلة ثلاثة بثلاثة نحو قول أبي دُلامة (زند بن الحوف)

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَ الدُّنْيَا إِذَا اِجْتَمَعَا وَ أَقْبَحَ الكُفْرَ والإِفْلَاسَ بالرَّجُلِ

فإن أحسن يقابل أقبح ، والدّين يقابله الكفر ،و الدّنيا يقابها الإفلاس .

مقابلة أربعة نحو قوله تعالى :"**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى " (اللّيل / (5–10)**

فالمراد هنا باستغنى أنّه زهد فيما عند الله كأنّه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدّنيا عن نعيم الجنّة فلم يتقِ.

والمتأمل لطبيعة المقابلات فيما سبق يجد أنّ المعنى يزداد وضوحا والتّصور يكون أدق، وبذلك تُدرك أهمية المقابلة في إيصال المعنى للمتلقي بشكل موجز وبصورة واضحة، و في هذا تكمُن القيمة الحجاجية للمقابلة وما قيل في الطّباق يسقط على المقابلة كون الأول تضاد بين كلمتين والثّانية تضاد بين جملتين .

---

[1] المصدر السابق، ص642.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، مرجع سابق، ص346.

[3] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص644-645.

ب/ المحسنات اللفظية:

ولا نغفل عن الشّق الثّاني من المحسنات البديعية، والموسوم بالمحسنات اللّفظية التّي تزيد الكلام حسنًا وجمالًا يستعملها الكاتب لجذب انتباه المتلقي إقناعه بالأفكار والمقاصد التّي يرمي إليها ومن بينها "الجناس"

1. الجناس :

ويُقَالُ له:" التَّجْنِيسُ، والتَّجَانُسُ، والمجَانَسَةَ، ولا يستحسن إلّا إذا ساعد اللّفظ ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة التّنظير."[1] يقول الخلخالي في معناه :" الجناس بين اللّفظين وهو تشابههما في اللّفظ، والجناس على قسمين،(تام ،و غير تام) "[2]

أ/ الجناس التام:

وهو "ما اتفق فيه اللّفظين في أربعة أشياء، نوع الحروف، عددها، وهيئاتها، وترتيبها، مع اختلاف المعنى."[3] وفي قول الخلخالي[4]:" والتّام لا يخلو إما أن يكون اللّفظان من نوع واحد أو من نوعين."

* فإن كان من نوع واحد كاسمين، سمّي الجناس مماثلا نحو قوله تعالى: **"وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ " (الرّوم / 55)** فالمراد هنا من لفظ "السّاعة" ساعة البِعْثِ غلى يوم الحساب والجزاء، أمّا لفظ "ساعة" يقصد بها المدة الزّمنية من أزمنة النّهار واللّيل.

وإذا كان من نوعين كاسم وفعل سمّي الجناس مستوفى نحو قوله:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَهُ يَحْيَا لَدى يَحْيَ بْنِ عَبْدِ اللهِ

والمقصود هنا ب "يَحْيَا " الأول فعل مضارع و "يَحْيَ " الثّاني اسم وهو يحي بن عبد الله.

وعندما ننظر إلى كل من (يحيا، ويحي) نجدّ أنّ لفظهما قد تشابها في الضّبط أو التّشكيل، وتشابها أيضا في عدد الحروف وترتيبها، و اختلفا في المعنى؛ لذا فبينهما جناس تام.

والتّام أيضا إن كان أحد لفظيه مركبًا سُميَ جناس التّركيب، فإن اِتَفَقَ اللّفظان في الخط؛ سمي الجناس متشابهًا، وقد أود الخلخالي مثال على ذلك:

إِذَا مَلَكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَه فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَا هِبَهْ

---

[1] السّيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة ، مرجع سابق، ص 325.

[2] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص702.

[3] السّيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص326.

[4] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص702.

فالمراد من (ذا هبه) الأولى: صاحب هِبَةٍ وعَطَاء، وهو مُرَكّب من كلمتين، والمراد من (ذَا هِبه) الثّانية: اسم فاعل من الذّهاب، فاللّفظان هنا تشابها في الضّبط، وفي عدد الحروف واختلفا في المعنى.

وأمّا إنْ لم يتفقا في الخط بل يختلفان فيه سُمي الجناس مفروقا لافتراقهما في الخط كقوله[1]:

كُلُكُمْ قَدْ أَخَذَ الجَا مَ وَلَا جَامَ لَنَا

مَا الذّي ضَرَ الجَامَ لَوْ جَامَلَنَا

علّق الخلخالي على هذا البيت قائلا: الأول مركب من جام ومن لنا، والثّاني فعل ماضي من المجاملة، وهي المعاملة بالجميل.

ب/ الجناس غير التّام (جناس ناقص):

وهو "ما اختلف فيه اللّفظين في هيئة الحروف، واتفقا في نوعها، وعددها وترتيبها"[2] وأشار إلى تعريفه الخلخالي في كتابه "مفتاح تلخيص المفتاح" فقال: هو أن يختلف اللّفظان في هيئات الحروف."

و"يكون الاختلاف في الحركة فقط نحو ما جاء في قوله: "جَنَّةُ الْبُرْدِ وَجُنَّة البَرْدِ "[3] فالبُرد بمعنى الكِساء، الذّي يُلْتحَفُ به، و" البَرْدِ" بمعنى انخفاض درجة الحرارة.

وهنا نجد أنّ اللّفظين يتفقان في نوع الحروف وعددها وترتيبها، لكنّهما يختلفان في الهيئة."

" وقد يكون الاختلاف فيه في هيئة التّشديد والتّخفيف، والحركة و السّكون كقولهم: " البِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْك "، (فالشِّرْكُ) بمعنى جعل شريك لله عزَّ وجَلّ، والشَّرَكُ بمعنى حبالة الصّائد."[4]

"ويكون الاختلاف في أعدادها ويسمّى ناقصا، وذلك على وجهين أحدهما بزيادة حرف واحد إمّا في الأول مثل: " **وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** " (**القيامة / 29–30)**

فعندما ننظر إلى كلّ من (السَّاق و المساق) نجد أنّ لفظاهما قد تشابها، إلّا أنّهما قد اختلفا في عدد الحروف بزيادة الميم في "المساق "، و اختلفا أيضا في المعنى: لذا بينهما جناس ناقص.

. أو الزّيادة تكون في الوسط نحو: جدي جهدي."[5]

---

[1] المصدر السابق، ص703.

[2] عبد الرحمان حسن حنبك الميداني، البلاغة العربية (أسسها ، وعلومها وفنونها)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص491.

[3] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص703.

[4] المصدر نفسه، ص704.

[5] المصدر نفسه، ص705.

فبين كلمة (جدي و جهدي)، هناك تشابه في اللّفظ واختلاف في عدد الحروف بزيادة الهاء في وسط الكلمة (جهدي) مع الاختلاف في المعنى أيّضًا (أي حظي تعبي)

. أو تكون الزّيادة في آخره [1]:كقوله:

يَمُدُن مِن أيد عَوَاص عَوَاصِمَ تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِبَ

فعندما ننظر إلى كل من (عواص، عواصم)، (قواض، قواضب)، نجد أنّ لفظ كل منهما قد تشابها لكنهما اختلفا في عدد الحروف بزيادة الميم في (عواصم) و الباء في (قواضب)، إضافة إلى اختلافهما في المعنى لذا فبينهما جناس ناقص.

وثانيتها أن "يختلفا بزيادة أكثر من حرف" [2] وقد ذكر الخلخالي مثالا على ذلك وهو قول الخنساء:

إنّ الْبُكَاْء هُوَ الشِّفَاءُ مِنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

بين (الجوى، والجوانح)، تشابه في اللّفظ، واختلاف في المعنى وعدد الحروف، وذلك بزيادة أكثر من حرف في (الجوانح).

من خلال ما سبق ذكره عن الجناس نجد أنّ بعده الحجاجي يتمثل في استمالة أذن السّامع إلى الخطاب ، والإصغاء إليه، لأنّ النّفس تَسْتحسن المكرر من الكلام مع اختلاف معناه.

وما تجدر الإشارة إليه فيما يخص حجاجية الجناس أنّ كل لفظ يمكن أن يصوّر ويقرب معناه لأنّ في ذلك تحقيق للإفهام فبعض الكلمات وإن لم تعرف معانيها بدقة ولكنها تحمل دلالة مسبقة في ذهن المتلقي فمثلا كلمة " زقوم " تصوّر ملمحا خشنا على عكس كلمة "الفردوس" تحمل وتصوّر ملمحا جميلا حسنا.

[1] ابن مظفر الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ص706.

[2] المصدر نفسه، ص706

لقد حاولنا في هذا الفصل الكشف عن أهم تمظهرات بلاغة الخطاب الحجاجي في المدونة، وذلك انطلاقا من الإطار النّظري الذّي ورد في الفصل السّابق إضافة إلى ما تمّ ذكره في المدخل، حيث وقفنا عند أهم الآليات الحجاجية الواردة في المدونة، وقد ركزنا بوجه خاص على الآليات البلاغية؛ فتأكدنا أنّ كتاب مفتاح تلخيص المفتاح عني بالمصطلحات الحجاجية، وهذا دليل واضح على ارتباط البلاغة بالحجاج ودورها الفعّال في عملية الإقناع من خلال علومها الثّلاثة (علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع) وذلك بإتباع خطوات واستراتيجيات معينة، وما تجدر الإشارة إليه أنّ الخلخالي قد بذل مجهودا علميا جليّا في مضمار تعريف القارئ بمضامين البلاغة وعلومها المختلفة بطريقة مفصلة ودقيقة معتمدا في ذلك منهجا أساسه الإقناع والتّأثير في المتلقي بأسلوب جميل يخترق المشاعر والنّفوس ويثير العقل، فتأكدنا بذلك أنّ علمي البيان والبديع وكذا علم المعاني ليست مجرد زخرف للكلام؛ وإنّما لها وظيفة أخرى جوهرية تتمثل في الإقناع وذلك من خلال الجمع بين الحجاج والجمال.

خاتمة

خاتمة

خاتمة

وفي الختام أحسن ما يقال هو مسك الكلام، فبعد رحلة معرفية شاقة وممتعة انتقلنا فيها عبر الزّمن بالعودة إلى أعماق تراثنا اللّغوي؛ رحلة اكتشفنا خلالها عالما جديدا حاولنا الغوص في أغواره واستنطاق الخطاب الحجاجي في كتاب "مفتاح تلخيص المفتاح"، ومحاولة دراسته وتحديد مقاصده، لنصل في النّهاية إلى كنوز جمّة من العلم والمعرفة يمكن إجمالها في مجموعة من النّتائج والملاحظات التّي نرجو أن تكون قد لخصت كل ما جاء في مذكرتنا وهي كالآتي:

1- في ظل هذه الدّراسة رأينا أنّ الحجاج مفهوم متشعب يتحرك عبر دلالات متنوعة لتعدد استعمالاته و أشكال توظيفه وتباين مرجعياته.

2- البلاغة وثيقة الصّلة بالإقناع باعتبارها وصفا للطّرق الخاصة في استعمال اللّغة وتصنيف أساليب الكلام حسب مقتضى الحال وغايتها مدّ المتكلم بمختلف التّقنيات التّي تمكّنه من بلوغ مقاصده.

3- البلاغة العربية لم تراع الفروق بين أنواع الخطاب وبالتّالي لم تؤسس لنفسها نظرية خاصة على عكس ما وصلت إليه اليوم تحت مسمّى "البلاغة الجديدة أو الحجاج".

4- اندرج الحجاج قديما في ما يسمى بالبلاغة والخطابة وفن الإقناع فكثيرا ما ورد في الثّقافتين العربية والغربية بمعنى الجدل والبرهان والمناظرة والإقناع، ولهذا لم تكن دراسة الخطاب الحجاجي حديثة ولا من مستجدات العصر، إنّما يوغل بها التّاريخ إلى اليونان وما جاء في مؤلفات أرسطو ولا سيما حديثه عن فن الخطابة، كما أنّ معظم الجهود العربية القديمة في حقل الدّراسات البلاغية تؤكّد على أنّ الحجاج مصطلح قديم النشأة حديث الاستعمال؛ ولهذا فالممارسة الحجاجية كانت حاضرة قديما إلّا أنّها كنظرية لها ضوابط وقواعد لم نعرفها إلّا في القرن العشرين من خلال جهود بعض الدارسين الغربيين تحت مسمّى البلاغة الجديدة.

5- الحجاج فعل لغوي غائي يتحقق بين ذوات فعالة ونشطة، يسعى المتكلّم من خلاله حَمْلَ المتلقي على الإذعان والسّعي إلى إقناعه بشتى الآليات المختلفة حسب المقام.

6- الخطاب الحجاجي يكتسي أهمية كبيرة قديما وحديثا ،وقد تعددت أوجهه بين ما هو شفوي وبين ما هو مكتوب، ونجده يتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع وهو موضوع متشعب الرّوافد متعدد المنابع.

7- الخطاب الحجاجي ثلاثة أنواع: بلاغي وفلسفي وتداولي وهذه الأنواع الثلاثة تختلف عن بعضها لاختلاف أصولها وخلفياتها المعرفية ؛ ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من تداخلها وإكمال بعضها البعض.

خاتمة

8- لا يمكننا القول على أيّ نص أنّه ذو سمة حجاجية إلّا إذا توفرت فيه مجموعة من السمات والخصائص وهي: القصد المعلن، الاستدلال، البرهنة، الغائية...

9- ينماز الخطاب الحجاجي عن غيره بوصفه خطابا مبنيا وموجها، يُلجأ فيه إلى الحجة والاستدلال ويكون موجها مسبقا بهدف التّأثير والاستمالة والاقناع؛ وهو خطاب ذو طابع تأثيري.

10- تضمنت مدونة بحثنا أنواعا عدة من آليات الحجاج ولعل أبرزها الآليات البلاغية.

11- أثناء تحليلنا لبعض النماذج من المدونة ولا سيما الآليات البلاغية رأينا أنّ الخلخالي يركّز غالبا على تقديم النتيجة ثم إدراج الحجج بعد ذلك ليدعم طروحاته وهذا ما ساعد على انسجام الخطاب الحجاجي.

12- الآليات البلاغية أسهمت بشكل كبير في إبراز الطابع الحجاجي لخطابات الخلخالي؛ حيث أنّه راعى عنصري الإقناع والتّأثير في المتلقي بأسلوب جميل يخترق المشاعر ويؤثر في الأنفس.

13- معظم الآليات البلاغية من صور بيانية ومحسنات بديعية وغيرها تحمل بعدا حجاجيا إضافة إلى ما تحويه من بعد جمالي؛ وبالتّالي فالبلاغة بلاغتين بلاغة الأسلوب وبلاغة الحجاج فالخطاب الحجاجي يقوى طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية التّي تظهر المعنى بطريقة أوضح وأجّل.

14- كل خطاب يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التّواصلي الذّي يكتنفه، وهذا ما استنتجناه من خلال تحليل النماذج الحجاجية التّي اختلفت باختلاف الوضعيات التّواصلية، وقد لعبت اللّغة دورا مهما في حجاجية خطابات المدونة لأنّها حجاجية بطبعها؛ إذ تعد اللّغة آلية حجاجية في حد ذاتها بما تتضمنه من أساليب مختلفة ولغة الخلخالي تمثل ذلك.

15- من خلال هذا كلّه يمكن القول أنّ كتاب "مفتاح تلخيص المفتاح" يزخر بفيض غزير من الممارسات البلاغية الإقناعية فهو كتاب يحمل في طياته خطابات ذات طابع حجاجي إقناعي خالص، يريد الخلخالي من خلاله الوصول إلى أغراض تعليمية من جهة والتّأثير وإقناع القارئ من جهة أخرى، وهو يعد بذلك أحد أهم الكتب التّي يمكن أن نطبّق عليه مختلف النّظريات الحجاجية المعاصرة، وهذا الأمر يستدعي الاهتمام بالتراث اللّغوي العربي وإعادة قراءته.

صحيح أنّ هذا البحث على امتداد فصوله قد سمح لنا بإعطاء شيء بسيط عن فحوى عنوانه، فلا نستطيع القول أنّنا وفّينا الموضوع حقه، ولكنّنا بذلنا جهدنا في عرض أفكاره وعناصره وضبط محاوره الأساسية بصورة متكاملة إلّا ما سهونا عنه، وخاتمته لا تعني نهايته لأنّ رحى البحث تظل دوما وأبدا تدور، وما توصلنا إليه من نتائج لا يعني أنّنا ألممنا بكلّ أغواره ولكن آن الآوان لطيّ صفحاته، فاسحين المجال للرّاغبين في خوض غمار

خاتمة

هذه التّجربة في عالم الحجاج، فكل باحث يمكنه الإتيان بالجديد لذا نأمل أن تتلو بحثنا بحوث أخرى تجبر ما قد ورد فيه من نقص، لأنّ العودة إلى التّراث العربي ومحاولة إعادة قراءته قراءة مبنية على ما وصلت إليه الدّراسات اللّغوية الحديثة تجعلنا نعيد اكتشاف مواطن الطّاقة الكامنة فيه، لذا نوصي كل من هو مهتم بلغته أن يعطف على دراسة " **كتاب مفتاح تلخيص المفتاح** " ليس من جانب واحد وإنّما من جوانب عدة؛ إذ يمكن أن نطبّق عليه مختلف النّظريات اللّسانية والمناهج الغربية الحديثة (مثلا المنهج الأسلوبي والسّميائي والتّركيبي وكذا التّداولي...)، آملين أن تكون لنا عودة لدراسة هذه المدونة مرة أخرى إذا وُفقنا في مسابقة الدكتوراه مستقبلا.

ونسأل الله أن يسدد خطانا لخدمة لغة القرآن وأن يرزقنا علما نافعا.

وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد – عليه أزكى الصّلوات.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش

المصادر:

ابن مظفر الخلخالي(شمس الدّين محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي)، مفتاح تلخيص المفتاح ، تح: هاشم محمد هاشم محمود ،المكتبة الأزهرية لتّراث، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

المعاجم:

***ابن فارس(أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي):**

1. مقاييس اللّغة، ج1، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
2. مقاييس اللغة،ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1979.

***ابن منظور(الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدّين محمد بن مُكرم ابن منظور الإفريقي المصري):**

1. لسان العرب، مادة (ح ج ج)، ج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1997.
2. لسان العرب، مادة(ب ل غ)، ج8، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1993.
3. لسان العرب، مادة (خ ط ب)، ج1، دار صادر، بيروت لبنان، ط3، 1994.

الشّريف الجرجاني(علي بن محمد بن علي الشريف الحسني الجرجاني):

1. معجم التعريفات ، تح: محمد صديق المنشّاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت).
2. معجم التّعريفات، تح:محمد عبد الرّحمان مرعشلي، دار النّفائس، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003.

مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

المراجع:

1. -**ابن وهب**، البرهان في وجوه البيان، تح: جفني محمد شرف، دار العلوم، القاهرة، مصر، (د ط)، 1969.
2. -**أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري**، المفضل في علم العربية، دار عمار لنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.

3-أبو بكر العزاوي:

1. اللّغة والحجاج، العمدة في الطّبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006
2. الحجاج اللّغوي (قراءات في أعمال أبو بكر العزّاوي)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2017.

3. الخطاب والحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2015.

4- أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: على محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ط2، 2000.

5-**أبو يعقوب يوسف السكاكي**، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2

6-أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1993،3.

7-أرسطو طاليس، كتاب الخطابة، تر: إبراهيم سلمى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1953.

8-بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

9- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة اللّيثي الكناني البصري):

- البيان والتّبيين، (ج1،ج2)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003

- البيان والتّبيين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

10جميل حمداوي، نظريات الحجاج ، شبكة الألوكة. www.alukah.net

11-جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، (د ط)، 2000.

12-حافظ اسماعيلي علوي:

- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2001.

- الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4(الحجاج والمراس)، عالم الكتب الحديث، اربد الأدن، ط1، 2010.

13- حمادي صمّود، أهم نّظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، المطبعة الرّسمية للجمهورية التّونسية ،(د ط)، (د ت).

14- حميد آدم ثويني، البلاغة العربية 'المفهوم والتّطبيق '، دار المناهج للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.

15-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

16-سامية الدّريدي:

_ الحجاج في الشعر العربي القديم،- من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنياته وأساليبه-، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1،2007.

_الحجاج في الشّعر العربي 'بنيته وأساليبه'، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011.

17-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997.

18-السّكاكي، مفتاح العلوم، تح : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط) ، (د ت).

19-السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)، (د ت).

20-صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدّراسات والنّشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008.

21-طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

22-الطّيب رزقي، البنية الحجاجية في كتاب 'اللّؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشّيخان'، أطروحة دكتوراه، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2017.

23-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتّداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.

24–عبد الرحمان حسن حنبك الميداني، البلاغة العربية (أسسها، وعلومها وفنونها)، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996.

25–عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، افريقيا، الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 2006.

26–عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السّياسي، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

27–عبد القاهر الجرجاني:

أسرار البلاغة، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت).

28–عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن الكريم، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

29–عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب 'مقاربة لغوية تداولية'، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

30– **علي عيسى العاكوب**، علي سعد الشّتيوي، الكافي في علوم البلاغة، الجامعة المفتوحة، الاسكندرية، مصر، (د ط)، 1993.

31– فضل حسن عبّاس:

– أساليب البيان، دار النفائس، عمان، الأردن، ط2، 2009.

–البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، إربد، العراق، ط1، 1989.

32–مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي، ' تنظير وتطبيق على السّور المكية، كلمة للنّشر والتّوزيع، أريانة، تونس، ط1، 2015.

33–محمد السالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ،عالم الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2000.

34–محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّنوير، دار سحنون للنّشر، تونس ،(د ط)، (د ت).

35–محمد العمري:

– البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا، الشرق، بيروت، لبنان، (د ط)، 1999.

- في بلاغة الخطاب الإقناعي 'مدخل نظري وتطبيقي بدراسة الخطابة العربية'، دار افريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2002.

36-محمد سالم محمد الأمين الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

37-محمد طروس، النّظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقية واللسانيّة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2015.

38- محمد علي التّهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشِرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

39-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، (د ط)، 2002.

المجلات:

1-حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي' عناصر استقصاء' ، مجلة عالم الفكر، مج 50، العدد 11، سبتمبر 2001.

2-عبد الباسط ضيف وعيسى أخضري، صور الخطاب الحجاجي العربي المعاصر، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، مج 9، العدد5، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، 25ديسمبر 2020.

3-عبد الهادي بن ظافر الشّهري، آليات الحجاج وأدواته، مقال.

4-محمد برقان، الخطاب الحجاجي والاتصال- مقاربة تداولية-، كتابات معاصرة، فنون وعلوم، العدد 58، بيروت، لبنان، تشرين الأول، 2005.

5-نعمة دهش فرحان الطّائي، الخطاب الحجاجي وصلاته الاجتماعية، جامعة بغداد، مجلة الأستاذ، مج 1، العدد 220، 2017.

قائمة المصادر والمراجع

المذكرات والأطروحات:

1–الطّيب رزقي، البنية الحجاجية في كتاب 'اللّؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشّيخان'، أطروحة دكتوراه، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2017.

2–نور الدّين بوزناشة، الحجاج بين الدّرس البلاغي والدّرس اللّساني الغربي – دراسة تقابلية مقارنة – ، أطروحة دكتوراه، جامعة لمين دباغين، سطيف، 2016.

3–هاجر مدقّن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ' دراسة تطبيقية في كتاب المساكين، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، 2003.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-د
مدخل مفهومي: البلاغة والخطاب	6
1- مفهوم البلاغة	6
أ/ لغة	6
ب/ اصطلاحا	7
2- مفهوم الخطاب	8
أ/ لغة	9
ب/ اصطلاحا	10
ج/ الخطاب في الأصول الغربية	11
الخطاب الحجاجي	
الحجاج.	14
مفهومه	14
أ/ لغة	14
ب/ اصطلاحا	15
الخطاب الحجاجي بين التّأسيس والممارسة	17
1- الحجاج عند الغربيين والعرب القدامى	
1-1ملامح الخطاب الحجاجي عند العرب قديما	
أ/ عند الجاحظ	18
ب/ عند ابن وهب	19
ج/ عند السّكاكي	20
1-2 الحجاج في الدّراسات الغربية القديمة	21

أ/ عند السّفسطائيين	21
ب/ عند أفلاطون	22
ج/ عند أرسطو	22
2- الحجاج عند الغربيين والعرب المحدثين	23
2-1الحجاج في الدّراسات الغربية الحديثة	23
أ/ عند بيرلمان وتيتيكاه	24
ب/ عند ديكرو	25
2-2الحجاج الدّراسات العربية الحديثة	26
أ/ عند أبو بكر العزاوي	26
ب/ عند طه عبد الرّحمان	27
ج/ عند محمد العمري	28
الخطاب الحجاجي، الأنواع، الخصائص والضّوابط	29
مفهومه	29
أنواعه	31
خصائصه وسماته	35
ضوابطه	39
الفصل الثّاني: تمظهرات بلاغة الخطاب الحجاجي في كتاب مفتاح تلخيص المفتاح لابن مظفر الخلخالي- الآليات البلاغية أنموذجا-	
تمهيد	42
الحجاج بعلم المعاني	44
أ/ الإيجاز والإطناب	44
ب/ التّقديم والتّأخير	47
الحجاج بعلم البيان	50

أ/ التّشبيه	50
ب/ الاستعارة	54
ج/ الكناية	56
الحجاج بعلم البديع	59
أ/ الطّباق	60
ب/ المقابلة	62
ج/ الجناس	63
خاتمة	68
قائمة المصادر والمراجع	72
فهرس الموضوعات	79
ملحق	83
ملخص	

ملحق

التّعريف بابن مظفر الخلخالي :

اسمه :

شمس الدّين محمد بن مظفر الدّين الخلخالي ،يعرف أيضا ب"الخطيبي "، والخلخالي منسوب إلى خَلخَال وهي قرية في نواحي السّلطانية في أذربيجان.

مولده وحياته:

حياة الخلخالي غامضة لا يهتدي الباحث إلى معرفة الظّروف التّي ألمت به ، وكوّنت عقليته وخلقت منه رجلا له دوره في شرح العلوم العربية،ولا نعرف متى ولد لأنّه لم يذكر أحد ذلك ممن ترجموا له، ولا نعرف كيف نشأ وكل مانعرفه عنه نتف يسيرة مبعثرة في المصادر المختلفة.

وفاته:

هناك إجمال في كل من ترجموا له على أنّه توفي سنة (745هـ) في مدينه آران .

مؤلفاته:

له تصانيف كثيرة لأنّه كان إماما في العلوم العقلية والنّقلية ، وعالما في البلاغة والمنطق والنّحو والصّرف وعلوم السّنة والأصوللذا له شروح في جلّ الفنون نذكر منها :

1- شرح المصابيح في كتاب أسماه :" **تنوير المصابيح** " .

2- كتاب **مصابيح السّنة** .

3- شرح **المختصر** لابن الحاجب، وهو مختصر كتاب السّؤال والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب المالكي.

4- له منظومة في المنطق.

5- شرح **مفتاح العلوم** للسّكاكي.

6- شرح التّلخيص في كتاب سمّاه "**مفتاح تلخيص المفتاح**" وهو مدونة يحثنا.

لمحة عن الكتاب:

-مفتاح تلخيص المفتاح

- تأليف: شمس الدّين محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي (ت745)

-تحقيق: أ .د م هاشم محمد هاشم محمود

-النّاشر:المكتبة الأزهرية للتّراث

-القاهرة، مصر

-الطّبعة الأولى 2007

-عدد الصّفحات: 799صفحة

هو أول كتاب شرح التّلخيص، كما أنّه كتاب تعرض للرّد على اعتراضات الخطيب على صاحب المفتاح.

يشتمل الكتاب على مقدمة(عمد فيها إلى تعريف البلاغة والفصاحة) وثلاثة فنون (علم المعاني ص69، علم البيان ص488، وعلم البديع ص640) وخاتمة، كما تضمن الكتاب (مقدمة المحقق، التّعريف بالخلخالي، التّعريف بكتاب مفتاح تلخيص المفتاح، منهج الخلخالي في كتابه، منهج التّحقيق، فاتحة التّلخيص، مقدمة).

الملخص:

يعدّ الحجاج نظرية حديثة الاستعمال قديمة النّشأة ظهرت في الكثير من الدّراسات الغربية وكذا العربية، انطلاقا من التراث الفلسفي اليوناني والبلاغة العربية القديمة وصولا إلى النّظريات الغربية الحديثة، وما استخلصناه من دراستنا للحجاج بوجه عام والخطاب الحجاجي بوجه خاص أنّه مصطلح واسع الآفاق ومتشعب وغزير المنابع، لذا تمّت دراسته في أكثر من جانب منها البلاغي ومنها التّداولي وتناولته العديد من المدونات فنجد (القرآن الكريم، الحديث النّبوي، وكذا الشّعر والنّثر...)، ولكن على الرّغم من ذلك يبقى موضوعا متجددا يمكن لكل باحث إضافة الجديد؛ وهذا ما اتّضح من خلال دراستنا فقد استطعنا تطبيقه على مدونتنا بنجاح، وتأكّدنا أنّه من الممكن توفر خطاب حجاجي متكامل في مدونة أدبية(كتاب مفتاح تلخيص المفتاح)، فقد أثبت ابن مظفر الخلخالي أنّ لعلم البلاغة أهمية كبيرة في الخطاب كونها تركز على التّحاجج بغية الإقناع والتّأثير وبذلك يكون لها بعد حجاجي إضافة إلى ما لها من بعد جمالي يزيد القول رونقا وبهاء.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة، الخطاب، الحجاج، الخطاب الحجاجي، الإقناع، المتكلّم، المتلقي، التّأثير...

Résumé

Al-Hajjaj est une théorie moderne d'origine ancienne qui est apparue dans de nombreuses études occidentales ainsi qu'en arabe, à partir de l'héritage philosophique grec et de la rhétorique arabe ancienne jusqu'aux théories occidentales modernes. Elle a été étudiée sous plus d'un aspect, y compris rhétorique et délibératifs, et il a été traité par de nombreux blogs, on en trouve donc (le Saint Coran, le hadith prophétique, ainsi que la poésie et la prose...), mais malgré cela cela reste un sujet renouvelé que tout chercheur peut ajouter nouveau ; C'est ce qui est apparu clairement à travers notre étude, car nous avons pu l'appliquer avec succès à notre blog, et nous avons confirmé qu'il est possible de fournir un discours Hajji intégré dans un blog littéraire (Le

Livre de Miftah Talkhis Al Muftah). il a une dimension pèlerine en plus de sa dimension esthétique qui augmente la splendeur et la splendeur du dicton.

les mots clés:

Rhétorique, discours, argumentation, discours argumentatif, persuasion, locuteur, récepteur, influence…

Abstract

Al-Hajjaj is a modern theory of ancient origin that appeared in many Western studies as well as Arabic, from the Greek philosophical heritage and ancient Arabic rhetoric to modern Western theories. It has been studied in more than one aspect, including rhetorical and deliberative ones, and it has been dealt with by many blogs, so we find (the Holy Qur'an, the Prophetic hadith, as well as poetry and prose…), but despite that it remains a renewed topic that every researcher can add new; This is what became clear through our study, as we were able to apply it to our blog successfully, and we confirmed that it is possible to provide an integrated Hajji discourse in a literary blog (The Book of Miftah Talkhis Al Muftah). Thus, it has a pilgrim dimension in addition to its aesthetic dimension that increases the saying's splendor and splendor.

key words:

Rhetoric, discourse, argumentation, argumentative discourse, persuasion, speaker, receiver, influence…